ماريا كرستوفر

مانع المعيني

obeikandl.com

ماريا كرستوفر / مانع المعيني
لوحة الغلاف / أشواق عبدالله
إخراج / وائل ابراهيم

الطبعة الأولى 1435 هـ - 2014م
تدمك ISBN 978-9948-20-917-1
SIZE: 18,5 X 11,5 كتاب من القطع الصغير عدد الصفحات (122 صفحة)
رقم المطبوع 2014/724

ت: 4460777- 2-00971 - ف: 4459111- 2-00971
صندوق البريد: 130777
البريد الالكتروني: hamaleel@hamaleel.ae
الموقع الالكتروني: www.hamaleel.ae

مؤسسة اعلامية تعنى بالأدب والفكر والثقافة والموروث .

© جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة هماليل للإعلام

إن دار هماليل للطباعة والنشر تحترم آراء المؤلف وأفكاره وتشجعه على الإبداع والنشر، وكل الآراء الواردة في هذا الكتاب تخص المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن المؤسسة .

obeikandl.com

إهداء:

قراءة ممتعة لـ: ماريا كرستوفر وإملينا ومعرفة سر صديقها القمر وصديقتها البحيرة.

قصة حب لم تعرف المستحيل وتكلّلت بأجمل الأشياء، حب أزلي.. أبدي.. ليس مثل أي حب آخر..

عندما تتلامس القلوب الصادقة تكون هناك أجمل نتيجة.

التفاصيل هي من تكمل الأحداث..

أتمنى لكم تفاصيل ممتعة.

obeikandl.com

إهداء آخر وخارج عن النص:

أهدي هذا العمل:

لوالدي رحمه الله الذي كان سيفخر كثيراً بهذا العمل.

والدتي حفظها الله.

أختي ونصفي الثاني ورفيقة دربي في الكتابة.

عائلتي حفظهم الله.

أصدقائي الذين عاشوا معي أيامي وتحملوا تقصيري.

المجتمع الذي أعيش فيه ويعيش فيني.

العالم أجمع والكون الفسيح.

وأخيراً أهدي هذا العمل لإبداعي ولنفسي وذاتي فأنا أعجز عن شكرهم.

obeikandl.com

مقدمة

في ثلاثة أيام تحولت فكرة من الخيال إلى فكرة على الورق، لا يوجد هناك مستحيل إلا في قانون الطبيعة ولكن في بعض الأحيان تكون هناك استثناءات، مستحيل أن تلتقي الشمس بالقمر ولكن عند حدوث الكسوف يجتمعان في مكان واحد وفي سماء واحدة.

ماريا من أجمل الفتيات في إحدى الليالي المقمرة أرسلت الكثير من الأمنيات التي تتمنى أن تتحقق، هل جمعها القمر وحققها لها أم أنه كان سامعاً وجامعاً لها.

ماريا عاشت مع إملينا حياة جميلة وسعيدة وكانت تحبها كثيراً وتعلّقت بها.

سنتعرف على ماريا وإملينا أكثر وسنعيش التفاصيل، سنعيش اللحظات الجميلة التي تمر بسرعة ولا نستطيع إيقافها، مشاعر وتفاصيل ولحظات جميلة اجتمعت في إنسانة واحدة، اجتمعت في ماريا كرستوفر.

ماریا کرستوفر

1910 – 1975

obeikandl.com

آخر مذكراتي

نور الصباح يعلن بدء يوم جديد وأشعة الشمس تنشر نورها على الأرض وتبعث الدفء في كل أنحاء الكرة الأرضية، كل جزء من هذه الأرض العطشى تأخذ نصيبها من الطبيعة، أشعة الشمس والغيوم والغبار والضباب ونور القمر، تتوزع على الأرض بتكافئ حتى تتوازن الحياة.

يوم جديد فيه ولادة طفل وموت كهل ومرض إنسان وتعافي آخر، كل منهم يتغنى بحالته، حالة فرح تارة وحالة حزن تارة أخرى، توزع كل هذا بأمر القدير الذي وضع لكل شيء ميزان.

نجاح وفشل، حب وفراق، تناقضات في هذا العالم البشري يعيشون تحت سقف واحد وتحت سماء واحدة وتحت حكم ملك واحد، كل شيء له شيء آخر يناقضه وكل شيء له شيء يوازيه.

مروراً بالهضاب والتلال الخضراء ووقوفاً عند تلك الجبال الممتلئة بالصخور، بكل اختصار هذه هي حياتنا

وهذا هو مجرى كوننا وليس هناك أي شيء يكون خارجاً عن الطبيعة ومخالفا لها.

في كل حارة هناك جدران تكون ملوّثة بكتابات منها ذكريات، ومنها استهزاءات، ومنها حكم، ومنها مواهب، ومنها الكثير والكثير التي لا نستطيع أن نفهمها بعين صغيرة، ويجب علينا أن ننظر إليها عن كثب وإذا رأيناها عن كثب إما تكون جميلة فائقة الجمال وإما قبيحة بمعنى الكلمة.

عالم يسود فيه العدل ويسود فيه الظلم، أشخاص يحبون العدل ويمشون على نهج القدير وأشخاص يعشقون الظلم ويمشون على عكس ما أمر به القدير وجزاؤهم ربما يكون في هذه الدنيا أو في يوم الدينونة.

كل شخص يملك قلباً وبداخل هذا القلب إما تكون أحاسيس جميلة ترسم الحياة للآخرين، وإما تكون أحاسيس ليس لها اسم وترسم الكراهية للآخرين، بهذا القلب الذي نملكه بإمكاننا أن نرفع أنفسنا لحدود الثريا وبإمكاننا أن نضع أنفسنا تحت الثرى، كل شيء يكون بيدنا وتحت تصرفنا وتحت إمرتنا.

عشت حياة طويلة مليئة بالأشواك وكانت تتخللها ورود جميلة، ولكن طغت الأشواك عليها وكانت تؤلم لحد الموت، وأما الورود فقد ضاع رحيقها، بالنسبة لي كانت الأشواك جميلة وكنت أعشقها لأنني مع كل شوكة كنت أتعلم شيئاً في هذه الحياة التي باتت مكاناً للتجارب، وأما الورود ذوات الرحيق الجميل لم أكن أستفيد منها بتاتاً فكانت رائحتها تزول مع مرور الوقت، وأما الشوك فقد كان يترك أثراً، لجرحه حتى ولو برأ.

لم تكن حياتي محفوفة بالمخاطر ولم تكن جميلة إلى ذلك الحد، ارتأيت أن أتعلم من تلك المخاطر وصولاً إلى قمتي التي أطمح أن أصعدها في أحد الأيام وحتى لو كان آخر رمق في عمري، فهي التي جعلتني أقف صامدة في وجه الرياح العاتية التي أخذت مني كل شيء لم أتوقع أن أكسبه في أحد الأيام ولم أتوقع خسارته وجعلت كل شيء في حياتي خاوياً من تلك التوقعات حتى لا أعيش الخذلان مع نفسي وفي حياتي.

إلهي خذني إليك فأنا عانيت الكثير من هذه الحياة

وأريد أن أرى ما هو بعد هذه الحياة، أريد أن أعيش اللذة في عالم لا أعرف له سراً، ولا أعرف ما هو وكل الذي أعرفه هو أن بعد الحياة موتاً ومن بعد الموت حياة أخرى.

عشت الألم طوال عمري ولم أشكِ حالي لأحد من البشر، عشت الضعف وكنت أبيّن للجميع قوتي في عز ضعفي، عشت حياتي وحيدة وكنت أشْعِرُ البشر بأن حياتي مليئة وتضج بالأقارب والأصحاب والأصدقاء والخلان والأبناء، وأنا لست سوى وحيدة صديقتي دميتي البالية إملينا التي عاشت ورأت كل الذي جرى لي واتسخت ثيابها وذبل وجهها ولكنها كما هي لم تكبر ولم تهرم ولم تغزُ التجاعيد وجهها، وأما أنا فأكل عليّ الدهر وأصبحت ثقيلة على نفسي قبل أن أكون ثقيلة على غيري.

دميتي إملينا هي التي وقفت معي عندما أصبحت وحيدة ولم أجد أحداً من حولي، عندما غاب قلبي وعندما ضاع حبي وعندما عشت حياة لست أعرف لها من معنى فقد تاهت كل معاني الحياة، لا ليست

في أدراج الرياح بل في أدراج ذكرياتي التي أصبحت حبيسة وتأبى أن تخرج من ذلك الصندوق الخشبي الذي جمعت فيه طفولتي وحاجياتي وبعضاً من رسائلي في أيام المراهقة، كنت سابقاً، نعم سابقاً، أعيش حياة جميلة، كانت حياة رأيت فيها كل النعم التي وهبني إياها القدير، كان قلبي حينها يشع بالحياة وكان دمي يجري في شراييني بكل أريحية دون أن يحتاج إلى أدوية ومسكنات.

حياتي أصبحت بالية، ضعفت عيناي وأصبحت أرتدي نظارة لكي أرى دميتي وصندوقي الخشبي، أصبحتُ الآن أحد ذكريات الزمان ولا أحد يطرق عليّ الباب أو يعرف أخباري سوى تلك الممرضة التي تأتي لزيارتي بين حين وآخر وهي قد شعرَت بالملل لأني لا أحادثها وأكتفي بالصمت ورؤيتها وهي تؤدي واجباتها.

تبدد الأمل لديَّ وأصبحتُ لا أنتظر سوى الموت، وهل الموت إحساس كئيب يهابه الجميع؟ هل اسم الموت يجعلكم تعيشون في شؤم؟ لا أريد أن أصل إلى

القمة التي حلمت أن أصل إليها في أحد الأيام، فركبتاي لا تقويان على حملي وأصبحتُ أمشي بخطى متثاقلة وباتت دميتي إملينا تشعرُ بالملل مني وهي تقلب نظرها عندما أعبر مسافة بسيطة ولا أصل إليها إلا بعد مرور وقت من الزمن القاتل.

تمر الأيام وهي لا تختلف عندي سوى ابتداء نهار جديد وانتهاء نهار أصبح قديماً، وسيلتي الوحيدة للتسلية هو ذلك المذياع الذي أهداني إياه وأصبح قديماً وأصبحتُ أنا لا أكترث به سوى أنه يعمل طوال الوقت ببعض الألحان التي كنا نسمعها معاً في ذلك الوقت، والآن بات هو غير موجود فكيف لي أن أستمتع بالسماع لها وهي تذكرني به؟ وما الذكريات إلا ألم قاتل، نموت بالذكرى آلاف المرات وقد أموت وأنا أدوّن هذه المذكرات التي أضعها على المنضدة في منزلي الريفي الصغير.

سأرحل في أحد الأيام ولن يعرف عني أحد سوى الممرضة التي تزورني في كل أسبوع مرة ولكنها لن تعرف إلا في زيارتها المقبلة وأكون أنا قد رحلت إلى

القدير في الأسبوع السابق وتتعفن جثتي في منزلي وعلى سريري وستبكيني دميتي إملينا ولن يكون هناك أحد حتى يمسح دموعها ولن يكون هناك أحد يحضنها أو يسعفها وسيرمونها في الصندوق الخشبي، وأما الصندوق الخشبي فسيتم حرقه تنفيذا لأمر وصيتي.

سأرحل وأنا لم أترك بصمة في هذا الكون الفسيح وعلى هذه الأرض، سيكون مكاني التراب فأنا من طين وإلى الطين، وأما الآن فأنا على الطين، ها أنا أتألم ولا يسمع أنيني أحد.

لن أترك أثراً سوى كلماتي هذه لعلّها تشع بالحياة في لحظة ما.

ماريا كرستوفر

نيسان 1975

obeikandi.com

دميتي

في عيد ميلادي خرجت للتنزه مع والدي وأنا لا أعرف بالمفاجأة التي أعدها لي، وكنت أمشي معه مسرورة ممسكة بيده الغليظة والتي أتعبها الحرث وكانت متشققة إلى حد كبير، ولكني كنت أشعُر بنعومة يديه على الأطراف، كانت يداه ناعمتين ولكن ضاعت النعومة على مر الأيام وباتت خشنة من العمل.

كنت أقفز وأمشي بكل براءة وهو ينظر إليّ والفرح مرتسم على وجهه، وقفنا عند أحد المحال التي كانت مليئة بالدمى الجميلة ذات ألوان وأشكال مختلفة، تمنيت أن أقتنيها جميعها، ولكن غرفتي الصغيرة لن تتسع لكل هذه الدمى بالكم الهائل.

دخلنا إلى المحل وأنا أتنقل بين الدمى وأنظر إليها والبريق ملأ عيني، وأشرْتُ بإصبعي الصغير على دمية رأيت فيها نفسي ورأيت بأنها تشبهني كثيراً، وقرر والدي أن يبتاعها لي وكانت تلك الدمية هي هدية عيد ميلادي.

فرحت كثيراً بتلك الدمية الجميلة وكنت أحملها بيديّ الصغيرتين ولم أسمح له بأن يحملها بدلاً عني، فرحتي كانت عارمة في ذلك اليوم لأنني ولأول مرة أقتني شيئاً أنا أختاره.

انعزلت عن والدي تماماً وكنت أقضي معظم وقتي مع دميتي وكنت أتناول طعامي معها، كانت تنام بجانبي ولم تكن شقية ولم تكن تسحب الغطاء عني ولم تكن تتقلب ليلا، دميتي كانت مطيعة ولا تتذمر أو تقول شيئاً، بل كانت طوال الوقت صامتة ومبتسمة.

كنت في كل يوم أغيّر لها ملابسها وألبسها ثوباً جديداً وأقوم بتمشيط ضفائرها الشقراء، هذه هي دميتي التي أعشقها ولا أريد أن يشاركني أحد بها فأنا أغار عليها كثيراً، لا أحب أن يقترب منها أحد.

كانت طوال الوقت تجلس على المقعد دون أن تتحرك من مكانها، وكانت تسمع كلامي، كم هي مطيعة دميتي، وهبتها قلبي، أول شيء في هذا الكون أهديه قلبي ولم تخذلني دميتي ولم تخذل قلبي ولم تخذل حبي لها أو تستغله.

لم تكن تتذمر دميتي أبداً ولم أسمع صوتها أبداً، بل كان هدوؤها طاغياً وكانت ملامحها من أجمل الملامح التي رأيتها وكان الصمت هو أجمل كلامها.

في أحد الأيام، وفي حديقة المنزل وقعت مني دميتي وبدأت بالصراخ والبكاء "اتسخت دميتي، اتسخت دميتي، اتسخ جزء من قلبي، اتسخ جزء من قلبي، اتسخ الشيء الذي أعشقه!".

هرعت إلى المنزل لتنظيفها "لا تبكي يا دميتي، ليس هناك شيء يدعو للبكاء وسترجعين نظيفة كما كنتِ سابقاً، وسترجعين إلى سابق عهدكِ، سترجعين كما أنتِ وسيرجع قلبي نظيفاً".

"لا تخافي يا دميتي، فأنا لم أبكِ لاتساخ قلبي منكِ، بل أبكي لاتساخكِ فأنتِ أهم وأغلى ما أملك، هيا أخلدي إلى النوم حتى لا تمرضي، حتى لا يتمكّن المرض منكِ، فالبرد قارس هنا، لا تحتاجين إلى الحساء ولا تحتاجين إلى الأدوية فأنتِ هكذا بخير".

"هيا نامي وغُطّي في نوم عميق وأنا سأنام لاحقا، دعيني أرسل أمنياتي للقمر فهو مكتمل اليوم، فلونه

اللؤلؤي جميل جداً ويشع الحياة في الآخرين، لن أخبركِ بأمنياتي فلا يجوز لأحد أن يعرفها ولكن لا تخافي سيكون لكِ نصيب من هذه الأمنيات".

أطفأتُ الأنوار وفتحتُ النافذة على مصراعيها وكان الهدوء مخيماً على المكان، دميتي نامت أيها القمر، أيها النور الساطع، أيها المستمد نورك من كوكب آخر، أخبرتني والدتي قبل أن تتوفى بأن القمر يجمع أمنياتنا بين طياته ويحققها في أحد الأيام، هناك أمنيات كثيرة أريدها أن تتحقق أيها النور المضيء وأيها القمر الجميل، لستُ أعرف لك سراً سوى أنك تنهل علينا من نورك البسيط والذي يكون من أجمل الأنوار.

أمنياتي، ما هي أمنياتي؟ لا أعلم أيها القمر ما هي الأمنيات التي أريدها؟ ربما تاهت في نورك الساحر وربما أنني تناسيتها ولا أريد أن أخبرك بها، أيها القمر هل حقاً بإمكانك تحقيق الأمنيات؟ أم أنها خرافة قالتها لي والدتي حتى أهدأ إذا رحلت وسكنت السماء؟ لا أعرف أين هو الصدق؟ لكن أمي لا تكذب عليّ وهي التي نهتني عن الكذب، هيا حادثني وأخبرني أيها القمر

ولكن بصوت منخفض حتى لا تستيقظ دميتي فهي تألمت اليوم، طلبتُ منها أن تخلد إلى النوم، ربما هي تسترق السمع الآن وتريد أن تسمع ما هي أمنياتي.

آآه أيها القمر، لا أعرف من أين أبدأ وأين أنتهي؟ هل أبدأ من المنتهى وأنتهي من الابتداء، أم أبدأ من المنتصف؟ أم أبدأ من أي مكان أريد؟ لماذا النجوم من حولك صغيرة وأنت الوحيد الكبير بينها؟

لماذا أنت وحيداً أيها القمر؟

فأنت تذكرني بنفسي ولكن أنا أملك دميتي وأنت لا تملك صديقاً، ربما تكون النجوم أصدقاءك ولكنك لا تريد إخباري حتى لا أحسدك لكثرة أصدقائك، لا تخف لن أخطف منك أصدقاءك فقط أجبني، لا تريد الإجابة؟ لك ذلك أيها القمر.

هيا أيها القمر الآن سأبدأ بتلاوة الأمنيات عليك وأنت بدورك ستدونها حتى لا تنساها لأن هناك الكثيرين غيري سيرسلون لك الأمنيات وربما ستنسى أمنياتي، استعد يا عزيزي وأصغي إليّ.

أمنيتي هي أن أجتمع بوالدتي بعد الموت وأكون

معها ولا أفارقها فهي أجمل امرأة رأيتها على وجه الأرض ولكني لا أذكر ملامحها جيداً وقام والدي بوصفها لي بأنها أجمل امرأة عرفها، أريد من دميتي أن تكون معي ولا تفارقني أينما ذهبت، فأنا لا أستطيع أن أعيش بدونها، أريد أن أعيش مع والدي في سعادة ورخاء وأريد أن تمتلأ حديقتنا بالورود الزاهية، آآه أيها القمر هل تسمعني؟

أم تريدني أن أرفع صوتي؟

أم أنك نائم ومللت من ثرثرتي؟ أجبني؟ أم أنك فقط تستمع دون أن تجيب؟ لقد احترت بك أيها القمر؟ أمنية أخيرة أيها القمر وأصغِ إليَّ جيداً ولن أعيد هذه الأمنية مرة أخرى، أريد شاباً يحبني ولا يتخلى عني طوال عمري كما وعدت دميتي بأني لن أتخلى عنها أبداً حتى آخر يوم في حياتي وهي وعدتني بذلك، أريد شاباً يسكن قلبي ولا يفارقه أبداً، أريد أن تكون حياتي سعيدة حتى آخر يومي، هل تستطيع تحقيق تلك الأمنيات، لا أسمع صوتك، أجبني؟ هز بنفسك حتى أعرف، يا إلهي يا أيها القمر أنت لم تسجل أمنياتي

ولم تنصت لها أبداً، فقط سرقت أمنياتي حتى تهبها لشخص آخر، لا أعرف ماذا أقول لك سوى بأنه حان وقت نومي أيها القمر، تصبح على خير ولا تنسَ أن تحقق أمنياتي.

ماريا كرستوفر
آذار 1925

obeikandl.com

وردتي

في يوم قررت الشمس عدم الخروج والاختباء خلف تلك الغيوم التي كانت تحمل الكم الكبير من الغيث، كان قلبي يومها فرحاً مسروراً بتلك الأجواء التي سرت بأمر القدير وكنت أمشي على مهلي متنقلة بين الورود التي كانت تملأها الأشواك الجافة على الرغم من نضارة واخضرار تلك الأغصان إلا أن أشواكها كانت بنية اللون جافة وقاسية ولا تنكسر بكل سهولة، عشقت تلك الوردة الحمراء، كان لونها كلون الدم وأمسكتها حتى أقتطفها ولكنني لم أنتبه لمكان الشوك الذي آلمني وسقطت قطرات من دمي على تلك الوردة المسكينة، والتي باتت تصرخ ألما بأنني لوثتها وأنا لم أقصد تلويثها.

تألمت كثيراً لصراخ تلك الوردة ولم أتألم لجرحي فقد كان جرحاً بسيطاً ولا يدعو للبكاء أو النحيب، رجعت للمنزل بعد سماع صوت الرعد ورؤية البرق ارتعبت كثيراً وسكنني الخوف وكدت أبكي وأنا أركض هارعة للمنزل ولكني سقطت على وجهي على العشب

الأخضر وكأن شيئاً ما يركض خلفي وكأنه خرج وحش المطر من مكانه وأطلق العنان لنفسه وأعطى نفسه الحرية التامة حتى يلاحقني ولكن رأيت إلى الخلف ولم أرَ أي شيء من تلك الأوهام.

وصلت إلى المنزل وذهبت إلى غرفتي ووضعت تلك الوردة في أحد الأوعية وسقيتها بالماء ودميتي كانت تراقبني دون أن تهمس بكلمة، وأنا كلي فرح وسرور بتلك الوردة التي قطفتها من بين بني جلدتها واحتفظت بها لي ولنفسي ولا أريد أن يشاركني بها أحد، كانت تلك الوردة من أجمل الورود ومن أقربها لقلبي لأن دمي امتزج بأوراقها الزاهية، شممتُ عبق الوردة وكانت رائحة دمي ممتزجة بها وكانت من أجمل الروائح التي عشت بين طياتها وبين حناياها.

أنظر من النافذة وكان المطر قد أعلن هطوله، أمطار غزيرة وتلك الورود في الحديقة لا يوجد من يحميها من برد المطر ولا يوجد من يشعرها بالدفء، كنت أنظر إليها وأنا كلي ألم، ولا أعلم لماذا أتألم؟ هل لأن الشوك يملؤها؟ أم لأن ألوانها زاهية وأخاف عليها من ذبولها

وموتها؟ كنت أراقب وردتي وهي تعيش الدفء في حضني، كانت لتلك الوردة مكانة مميزة في قلبي وفي أعماقي.

سمعت في أحد الأيام بأنه من يمتلك وردة ستكون حياته سعيدة إلى حد الجنون، وهل السعادة ترتبط بالجنون؟ أم أن السعيد يكون مجنوناً؟ أم أن الجنون صفة مبالغة؟ لست أبالي بكل تلك التساؤلات سوى أنني امتلكت وردة امتزجت بجزء مني وأصبحت تنتمي إليَّ وأما أنا، فهل أنتمي إليها؟ نعم أنتمي لتلك الوردة لأنها التي امتزجت بي وأنا لم أمتزج بها، إذاً سأكون سعيدة ولن يعكر صفو سعادتي أحد.

مرت الأيام والمطر لم يتوقف وماتت تلك الورود لأنها غرقت، بدأتُ بالبكاء عليها وأنا أتألم لها وعليها، تعجبتُ كثيراً لأنني لم أستطع حمايتها؟ كيف كنت أنانية ولم أجد سقفاً يؤويها؟ يا إلهي كم أنا جاحدة بحق تلك الورود التي ضحت بنفسها وتواجدت في حياتنا حتى تكون جزءاً منا، سامحني أيها القدير، سامحني، لم أكن أقصد أن أهمل تلك الورود.

لحظة ندامة مررت بها ولم أشعر بندامة بعدها، خرجت شمسنا من جديد بعد مرور أسبوع من المطر الغزير وزرعت البذور ونبتت الورود وبنيتُ لها سقفًا بجهد جهيد وبمساعدة والدي، كم سعدت بتلك الخطوة فأنا أكفر عن ذنبي الآن وأمحو الخطايا التي وقعت فيها، هذه الخطوة أنستني تلك الندامة ونسيت الدموع التي ذرفتها ونسيت الألم الذي عشته، نسيت كل شيء وعشت حياتي سعيدة.

وردتي ذبلت وماتت ورحلت عني وشوكها أصبح ضعيفا لا يستطيع أن يجرحني كما فعل في السابق، فهي الآن رحلت من هذه الحياة، ولكن إلى أين ذهبت؟ هل تركتني وحيدة لأنني أهملتها؟ هل تركتني لأنني أنانية؟ هل تركتني لأنني جعلت فصيلتها تغرق في المطر الغزير، وردتي أين أنتِ؟ لماذا تركتني؟ لماذا أنا؟ لماذا تعاقبيني؟ لماذا كل هذا؟ لن أطلب منكِ السماح ولن أعتذر لكِ فأنا أكرمتكِ وحميتكِ من الرياح العاتية والمطر الغزير ومن عوامل الطقس، لن تنتظري مني أي اعتذار، أنتِ التي جنيتي هذا بنفسكِ، أنتِ التي ظلمتِ

نفسكِ، أنتِ التي قتلتِ نفسكِ بنفسكِ، ولكن وفاءً مني سأحتفظ بكِ في مذكرتي وسأضعكِ في أجمل صفحة من صفحات حياتي وستكونين معي أبدية ولن تبتعدي عني إلا بعد موتي وتحترق هذه المذكرة أو أضعها ذكرى لأي شخص، لا سأضعها في أحد المتاحف حتى يعرف العالم أجمع كيف أنا وفية معكِ وكيف أخلصت لكِ وعدي.

أنتِ أول وردة في حياتي أقتطفها وأعيش معها لحظات جميلة، أنتِ التي امتزجتِ بي وأصبحتِ جزءاً مني وأنا لن أتخلى عنكِ مهما كلفني الأمر.

أين أضعكِ يا وردتي الذابلة؟ أجيبيني يا دميتي أين أضعها؟ أخبريني؟ اقترحي علي؟ جاوبيني؟ لا تخذليني؟ جميعهم يقولون بأنكِ جماد ولا تفهمين شيئًا وأنا أرى أنهم لا يفهمون شيئاً، هل لكِ أن تخبريني؟

وقعت الوردة على الأرض ولحقت بها الدمية ووقعت قوفها تريدين أن تكون في حضنكِ؟ تريدين أن تحتضنيها؟ جاوبي ولا تخجلي، أنا أعلم بأن حضنك أدفأ حضن وستكون تلك الوردة مسرورة أن تكون بين

أحضانكِ، لكِ ذلك يا دميتي العزيزة ولن أمنعكِ من شرف الاحتضان والحنان، كم أنتِ حنونة يا دميتي! لا تخافي لن أغضب لأنكِ أردتِ أن تحتضنيها، بل أنا فرحة ومسرورة لأنكِ أنتِ فرحة ومسرورة فسعادتكِ الأبدية تهمني جداً.

احْتضَنتْ دميتي وردتي وباتت لا تفارقها حتى وإن كانت ذابلة فهي قبلتْ أن تعيش في كنفها دون منازع ودون أي اعتراض، يا دميتي أنتِ أولى بها مني فأنا لا أستطيع حملها طوال الوقت وإن وضعتها في مذكرتي ستختنق حتى إن كانت ذابلة، فهي في حضنكِ ستكون أسعد وستكون أرقى.

ماريا كرستوفر

كانون الثاني 1926

obeikandl.com

قلبي

ها أنا أصبحت شابة ومراهقة، ولكن دميتي لم تتقدم بالعمر، لا يهم ذلك يا دميتي فأنتِ أجمل الجميلات التي رأيتها في حياتي، أجمل من كل تلك الفتيات اللاتي أراهن في جميع الأماكن ولن يوازيك أحد بجمالك، فأنت كل يوم تزدادين نضارة وجمالاً.

أظن بأن القمر كان يستمع إلى أمنياتي في تلك الليلة ولكنه لا يحب الحديث مع أحد ولا يريد إجابة أحد فهناك الكثير ممن يرسلون أمنياتهم إلى القمر في وقت واحد وهو لا يعرف من يجيب ومن لا يجيب، فقرر الصمت وجمع الأمنيات دون أن ينطق بكلمة واحدة.

رأى قلبي قلباً وتبادل معه أطراف الحديث وكان يقف معه طويلاً دون أن ألاحظ ذلك، أظن بأن قلبي وقع اختياره على أجمل القلوب التي عهدها الزمان، لأن قلبي لم يكن يقف لأحد قبله ولم يطل النظر إليه.

قلبي هو جزء مني، ولكن هل أنا جزء منه؟ أظن ذلك لأنني أحب نفسي وأعشقها، لذلك يكون قلبي جزءاً

مني وأنا جزءٌ منه، أنا سكنتُ في نفسي ونفسي سكنتْ فيَّ، ما أجملها من كلمات أكتبها وأرددها على لساني وكأنني أذوق حلاوة قلبي.

كان قلبي يرى الأشخاص بطريقة مغايرة وبطريقة لا يألفها أحد، فقلبي عشق له دمية وهي جماد واختارها من بين جميع الدمى التي كانت أمامي واختار دمية تشبهني، فكيف له أن يختار شخصاً لن يكون فيه مني ولن يكون هو لي.

اصطدم بقلبه كثيراً وعلى مرور الأيام وأنا لم أقترب منه ولكنني كنت أشعرُ بقلبه يخفق عندما أمر بجانبه، أنا أعلم بأن اختيار قلبي لن يخيب وأنا أعلم بأن القمر لن يختار لي شخصاً قد يؤلمني لاحقاً، أنا أعلم بأن القلب الذي سيختاره لي لن يكون شائكاً كتلك الوردة التي آلمتني.

لم أستسلم لقلبه أبداً، بل كانت هناك إطراءات كثيرة من قلبه لقلبي، سيسكنه في أحد الأيام، كيف لا وأنا أثق باختيار قلبي له؟ لا أعلم لماذا اختاره أو اصطدم به هل لأن القمر أمره بذلك؟ أم أنها إرادة القدير؟ أم أنه القدر

الذي رُسِم لي؟ مرّت الأيام وكان قلبي في اصطدام وأما أنا، فكنتُ أهتم بحديقتي وأهتمُّ بورودي التي زرعتها من مختلف الألوان، ألوان زاهية وجميلة تحت سقف جميل، لقد رسمتُ على السقف لون السماء والسحب حتى لا تشعُر ورودي بوحدتها ولا تشعُر بأنها محبوسة تحت سقف، وإلا ستغضب مني وستموت لاحقاً كما فعلتْ بي سابقاً.

رأيت قلبه يمر من أمام حديقتي وهو ينظر إلى قلبي، لم يحادثني ولم يقترب مني، بل قلبه ابتسم لقلبي، وابتسمنا لبعض، مشى دون أن ينطق بكلمة، دون أن يلقي تحية، دون أن يقول أي شيء، فعل كما فعل القمر معي، لم يحدثني ولكن حقق لي أمنيتي، هل فعلاً حقق القمر لي أمنيتي وأحضر لي ليوناردو؟

أخبرني قلبي باسمه وعندما نطقتُ به أحسستُ بأجمل الأحاسيس وكأنّ شيئًا بدأ يسري بداخلي، وكأن الحياة انتعشت أكثر، وكأنني لأول مرة أنطق اسم شخص بصوتي.

كانت الشمسُ وقتها بين الحضور والغياب، فقد

كان يقف في المنتصف مودعًا يومه، ستخلدُ الشمس للنوم والراحة، تترك المجال للقمر أن يحل محلها حتى تكون نشيطة في الصباح الباكر ولا تتأخر علينا بإطلالته الجميلة.

ابتعد ليورنادو عن حديقتنا وهو يمشي في طريقه وقلبي وقلبه يمشيان من خلفه يتسامران، أريد أن أعرف بالشيء الذي يخططون له، أريد أن أتعرف على مصيري؟ لن يخبرني قلبي بشيء، فقط أريد أن استرق السمع كما استرق القمر السمع مني.

كنت أسقي ورودي ولكن قلبي لم يكن حاضراً وأنا أنتظره في الحديقة وحل الظلام وغابت الشمس معلنة عن انتهاء يومها ولكن ابتدأ يومي الآن وابتدأت قصة قلبي مع قلبه ولن يتخلى عنه حتى ينال منه.

أين هي دميتي؟ هل هي نائمة؟ أم أنها تتصنع النوم؟ يجب أن ألقي نظرة عليها فأنا أهملتها اليوم ولا أعرف عنها شيئاً.

دميتي يا دميتي، أين أنتِ؟ أتختبئين تحت الغطاء؟ تعالي إليَّ، أريد أن أخبركِ أنتِ ووردتي بشيء لا

أعرف بمن أشاركه، أريد أن أشارككم فأنتم أصدقائي الوحيدون لأنني أصبحتُ لا أثق بالقمر، شككتُ بأنه أخبر الجميع عن أمنياتي، سامحيني يا دميتي لأنني لم أخبركِ بأمنياتي فأمي أخبرتني أن أحدّثَ القمر عن أمنياتي.

لا تغضبي يا دميتي واسمعيني جيداً كما سمعني القمر سابقاً، كل الذي أعرفه بأن قلبي يخطط لشيء ما مع قلب ليوناردو، ولكن لا أعرف ما هو؟ كل يوم يمر عليَّ أشعرُ فيه بأن هناك شيئاً جديداً في حياتي وإحساساً وشعوراً متجدداً، هل تظنون بأنه الحب الذي تمكن من قلبي؟ وقرر أن يجعله يتعلق بقلب ليوناردو.

لماذا لا يخبرونني بذلك؟ أريد أن أعرف ماذا يريدون أن يفعلوا حتى أستعد لذلك اليوم، فأنا لم أحب أحداً سابقاً، أحببت والدي ووالدتي وأحببتكِ أنتِ يا دميتي وأنتِ يا وردتي اليتيمة، وأخيراً أحببت مذكرتي التي أسطر فيها حياتي.

جاوبوني، هل هم يخططون للإيقاع بي في شبك الحب أم أنني وقعت في شباكه دون أن أدرك ذلك، يا

دميتي ما لكِ تناظرينني هكذا؟ عندما عرفت بالأمر أتيت لإخبارك ولم أخبئ عليكِ شيئاً، وردتي ما لكِ لا تجيبني فأنتِ جزءٌ مني وأنا جزءٌ منكِ، هيا جاوبوني، لقد أصبحتم مثل القمر تسمعون دون أن تجيبوني.

إلى من ألجأ، إلى قلبي؟ لن يخبرني بشيء وسيبتعد عني كما ابتعدتم أنتم، ولكن القمر وفى بعهده وحاول أن يحقق آخر أمنية لي، تلك التي وضعتها في ذمته، أنا لست وحيدة، أليس كذلك؟ أنتما وحديقتي معي ووالدي كذلك، أخبريني يا دميتي ماذا سترتدين في زفافي؟ الأحمر يليق بكِ حتى يكون لونكِ مثل لون الوردة وهي لن تخجل وقتها من أحد.

أعيش في حيرة الآن وأنتما لا تجيباني، هيا اخلدا إلى النوم ولكن دون إزعاج، سأحادث القمر وسأخبره بالموقف هذه المرة، فربما سيساعدني، أتمنى لكما ليلة سعيدة ونوماً هانئاً.

ماريا كرستوفر

كانون الثاني 1930

حبي

بعد رؤيتي لليوناردو عدة مرات، ومروره عند حديقة منزلنا، ترك لي رسالة أدركتُ من خلالها بأن قلبي كان يخطط مع قلبه حتى نقع في حب بعضنا.

كان الخجل يعتلي ليوناردو كلما وقع ناظره عليّ وكانت وجنتاه تحمرّان وكان دائما يغمزُ لي ويذهب ليكمل طريقه إلى مزرعة والده.

أيها القمر هل لي أن أشكرك؟ أخبرني هل يستحقني ويستحق حبي وقلبي؟ كيف رسمتَ له الطريق حتى يصل إلي؟ كيف استطعت أن تضعني في طريقه؟ وكيف استطعت أن تتفق مع قلبينا؟ هيا أخبرني أيها القمر فأنا متشوقة لأن أستمع لك ولصوتك ولحديثك، لا عليك من الآخرين الذين يخاطبونك، خاطبني أنا فأنا المهمّة الآن، كيف لك أن تحقق أمنياتي وتبتعد عني دون أن تجيبني؟

أيها القمر أخبرني كيف هو الحب؟ هل يعني بأنني أهتم به وأخاف عليه وأغار عليه؟ هل هذا هو الحب؟

أم أنه شعور يفوق الوصف؟ أخبرني؟! فأمي ليست هنا حتى تخبرني، نسيت أن أخبرك بأن أمي أصبحت نجمة في سمائك وهي الآن من أصدقائك، هل لك أن تخبرني ما هو الحديث الذي يدور بينكم؟ هل أخبرتك أمي بأنني جميلة مثلها؟ هل أخبرتك بأنني مراهقتها التي كانت تطيعها في صغرها؟ آآه أيها القمر كالعادة لا أجد منك إجابة.

أنت لا تفيدني ولا تنفعني سوى أنك تستمع لحديثي وتقوم بإخبار الجميع عني، أنا أعلم ذلك، ولكن لا أريد أن أخسر صداقتك أيها القمر فأنت أجمل ملاذٍ لي وأنت صديق أمي التي أصبَحَتْ معك في كل يوم وتمتثل لأمرك وتقف معك في الليل تحرسني وتحميني، لا تخفي عليَّ ذلك فأنا على علم بهذا الأمر.

سآخذ رسالة ليوناردو وسأقرأها على دميتي ووردتي حتى تعرفا ما هو الحب وكيف هو يحبني.

"من إنسان تائه يعيش على وجه الأرض إلى أجمل وأرق وأعذب إنسانة رأيتها في حياتي، لامس قلبي قلبكِ وعاشا أجمل المشاعر والأحاسيس معاً، لا

أخفيكِ علماً بأنني أرسلتُ أمنياتي للقمر وفي اليوم التالي أحسستُ بأن قلبًا يعيش مع قلبي وأحسستُ بأن شيئاً ما بداخلي يتحرك ولا أعلم ما هو، ولا أعلم بسره، ولكن كل الذي أعرفه بأنني إنسان أحببت إنسانة جميلة ورقيقة وتحب ورودها.

وجد هذا الإنسان التائه نفسه بعدما لامس قلبه قلب فتاة ريفية لم تعرف الحب سابقاً ولم تعهده لأن والدها كان وما زال يمثل لها الكثير وهي تعشقه حتى آخر رمق في حياتها، لا تخافي فقد أخبرني قلبكِ بكل شيء واعترف بكل الأسرار التي كانت تسكن فيه، لم يعترف لي أنا ولكنه اعترف لقلبي وأنا استرقت السمع.

الحب من أجمل المشاعر التي قد نعيشها وأنتِ تعلمين بذلك، الحب إخلاص ووفاء وتضحية، وأنا أرى هذا الحب في عينيكِ من اهتمامكِ بورودكِ الجميلة التي أخذت منكِ وتشكلت بشكلكِ أنتِ، علمت بأنكِ لن تتخلي عنها وبأنكِ قطعتِ عهداً بأن تهبي نفسكِ لها طوال عمركِ، كيف لا أختار إنسانة وهي تخلص للنبات، قطعاً ستخلص لإنسان عندما تحبه.

ماريا عشقي الأبدي أو بالأحرى عشق قلبي الأبدي، هل لكِ أن تبادليني بمشاعركِ وأحاسيسكِ وحبكِ؟ أم أنكِ تركتِ هذا الأمر لقلبكِ حتى يقرر عنكِ ويختار من يحب؟ أريد أن أسمع إجابة منكِ ولا أريد إجابة من قلبكِ، فقلبكِ أخبر قلبي بالكثير.

أريد أن أسمعكِ تنطقين باسم الحب على لسانكِ وصوتكِ، لا أريد إحساساً فقط، بل أريد صدقا يخرجُ من حنجرتكِ موصولاً بصوتكِ الموسيقي الممزوج بالبحة التي ستأخذني من عالم البشر إلى عالم الحب.

انطقيها، ولو من بعيد! سيرسلها الهواء لي ولن تدخل في قلبي ولكنها ستتغلغل في أذني وسأعيش طرباً لها، هيا بنا لا تكابري ولا تنظري إليَّ دون أن تنطقي بكلمة، مللت الكلام من عينيكِ، أريد أن أسمع جرأتكِ، أريد أن أعيش بإحساسكِ.

انطقي باسمي فهو أجمل منطوق منكِ أنتِ، أسمع اسمي كثيراً يتردد على مسامعي من أفواه الجميع ولكنني لم أسمعه من فاهكِ أنتِ، لن أنسى أول مرة تنطقين به، ولن أنسى أول مرة تخبريني بحبكِ لي، لن

أنسى تفاصيل وجهك عندما تنطقينها معا، أعدكِ بأنني لن أنسى أي شيء من تلك التفاصيل، سأدوّن كل كلمة تقولينها وسأتخيلكِ دائماً وأبداً، لا أريد منكِ شيئاً سوى أن تنطقي باسمي مصحوباً بأحبك، لا أطلب المزيد منكِ ولا أريد الكثير وبعدها سأغلق أذني عن مسمع الجميع.

انطقيني أنا وانطقي الحب باسمي، لا تخجلي فلن أضحك على مشاعركِ وأحاسيسكِ، فقط أغمضي عينيكِ عندما تنطقينها، عيشي أجمل الأحاسيس والمشاعر وأريدكِ أن تأخذيني لذلك العالم، أريد أن أكون معكِ ولوحدي وأنا أسمع صوتكِ طرباً، لا تحضري دميتكِ ولا تحضري وردتكِ، تخليّ عنها ولو لوقت بسيط، دعيني أستفرد بكِ ولو ليوم واحد ولو للحظات قليلة.

لن تشعريي بالحب إلا إذا نطقتِ به أمام الشخص الذي تحبينه، أمام الإنسان الذي تريدينه، وأمام نفسكِ، هيا تدربي وانطقيها مرارًا وتكرارًا حتى تنطقيها بكل المشاعر التي تمتلكينها وتعيشينها أمامي، أنا أعرف بأن

الحب سكن فيكِ قبل أن يسكن فيَّ، فأنت عشقتِ دميتكِ عندما كنتِ صغيرة ولم تسمحي لأحد أن يقترب منها، هل لي أن أكون مكان دميتكِ ليوم واحد وللحظة واحدة فقط حتى أحظى بحنانكِ ورعايتكِ واهتمامكِ وخوفكِ وطمأنينتكِ، هيا اقبلي بذلك.

موعدنا غداً في منتصف النهار، عندما تعلن الشمس نومها والقمر يعلن استيقاظه من سباته، لا تخافي فلن يخبر القمر أحداً بموعدنا عند تلك البحيرة، فهو كتوم ولم يخبر أحدًا بأمنياتي وأوفى بوعده وأحضر لي فتاة كنت أتمناها وأريدها وأتخيلها في أحلامي واليوم أراها واقعاً أمامي وأنا لا أصدق ما تراه عيناي.

ماريا لا تنسي موعدنا .. .. عند منتصف النهار .. .. قرب البحيرة .. .. ولوحدكِ". ليوناردو

دميتي اعذريني لن أصطحبكِ غدا معي فهو يريدني أن أكون معه ولوحدنا ولا أظن بأنني سأصطحب قلبي أيضاً، لا تخافي سأخبركِ بكل تفاصيل اللقاء، هيا تصبحون على خير.

ماريا كرستوفر أيار 1930

البحيرة

استيقظتُ في الصباح الباكر واستيقظ قلبي قبلي للأسف، كيف أستطيع أن أخدعه ولا أصطحبه معي؟ يجب عليَّ أن أجد خطة.

ذهبتُ لحديقة المنزل وأنا أحادث الورود وأخبرها عن الرسالة التي وصلتني من ليوناردو وأراها تتمايل وترقص فرحًا لأن سقفها السماء وهي لا تعلم بحقيقة السقف هذا ولن أخبرهم بذلك، حتى لا يغضبوا مني.

كان والدي يخرج باكراً ويعود متأخراً وكنت أنا الوحيدة في المنزل أقضي حاجيات المنزل وأقوم بإعداد الطعام لوالدي، وفي ذلك النهار أعددت كل شيء مبكرًا وتركت له رسالة بأنني ذاهبة للتنزه وسأعود متأخرة وأخبرته بأن دميتي في الغرفة ويجب أن يطل عليها فربما تحتاج لشيء.

انتصف النهار، وأعلنت الشمس نومها، وخرج القمر خفية حتى يفاجئني وربما يريد أن يخبر الجميع بجلوسي على البحيرة مع ليوناردو ولكنه صديق

والدتي ولن يخبر أحداً بشيء.

وصلتُ إلى البحيرة وكانت هادئة جدًا وكنتُ أرى انعكاس وجهي فيها فأبتسم تارة وأتدرب تارة أخرى على نطق "أحبك ليوناردو"، كنت أمشي لوحدي على العشب ولم أكن أرتدي نعلي وكان خلخالي يخبر الجميع بمكان وجودي ولكن ليس هنالك أحد.

لاحت لي التفاتة من بعيد وكان ليوناردو قادمًا وهو يحدق بي من بعيد، هل هو يحدق بي أم يحدق بقلبي؟ هل هو ينظر إلى فمي الصغير ويرى إذا كنتُ أنطق بالكلام الذي طلبه مني؟

كان يقترب ببطء خوفا أن يرتطم بشيء ويسقط على وجهه، فأغصان الشجر كبيرة وعالية وتغطي جزءًا من البحيرة، هي كافية أن تحمينا من المطر ولكن القمر حاضر، فكيف سيسقط المطر؟ كلها كانت أوهاماً وكان الخوف يعتريني، وكان شعوري متضارباً ولا أعلم لماذا؟ هل لأنني لأول مرة سألتقي به وسأقف معه ووحدنا بعيداً عن مرأى الجميع؟ كنت مرتبكة وأنا أحاول أن أهدئ من روعي، أيها القدير ساعدني على تخطي

هذا الموقف. وصل وأصبح قريباً مني وكان الظلام قد حل ولكنه كان قد أحضر الشموع معه وبدأ بإشعالها، جلس بالقرب مني دون أن ينطق بكلمة واكتفى بالنظر إليَّ وهو يجلس بمحاذاتي، كل الذي فعله بأنه أمسك بيدي وأحسستُ حينها بدفءٍ عظيم، كنت أنظر في عينيه حتى سكنت عيني عينه، كان إحساساً غريباً لا أستطيع أن أصفه، كان الهدوء يخيم على المكان، لم يقل شيئاً بعد، كان صمته أشبه بصمت القمر الذي أحادثه ولا يجبني، ولكنني لم أحادث ليوناردو حتى أسمع منه إجابة.

اعتراني الخجل وأفلتُّ يدي من يديه ولم ينطق بأية كلمة، فقط اكتفى بالنظر إليَّ، هل هذا ما يريده؟ أغمضت عيني برفق وتمكنت المشاعر مني وتمكن الحب من قلبي وبدأ قلبي يخفق بسرعة، هدأتُ من روع نفسي وسيطرت على زمام الأمور.

نطقتها بقلبٍ صادق وبأحاسيس لا يوجد أجمل منها، كيف له أن يحفظ تفاصيل وجهي والظلام دامس! تجرأت في ذلك اليوم ونطقت "أحبك ليوناردو"، لم

يجبني، فتحت عيني لأراه مبتسماً، أمسك بيدي وسرنا نمشي تحت أغصان الشجر الكبيرة وكأنها تحتوينا تحتها وكأننا أبناؤها تخاف علينا من السماء والنجوم والقمر، إنني أرى القمر يتبعنا في كل مكان نذهب إليه وأرى النجوم كذلك، هل أخبر القمر والدتي عن ليوناردو؟ هل قال لها بأنني وقعت في حب شاب اختاره هو لي؟

مشيت معه دون أن أسمع منه شيئاً، وصلت بالقرب من حديقة منزلي وقبّل يدي ورحل، هل رحل قلبي مع قلبه ليخططا لشيء ما؟

أم أن قلبي هنا معي؟

استغربتُ منه كثيراً ولكنه كان وقتاً جميلاً قضيته معه تحت نور القمر وتحت أغصان الشجر والشموع مضاءة والبحيرة تشهد على جلوسنا.

جلستُ في الحديقة لوحدي بين الورود وأنا محتارة به وبأمري، لماذا فعل كل ذلك؟ لماذا لم ينطق بكلمة؟ لماذا لم يقل لي بأنه يحبني؟ أنا أيضاً أريد أن أسمع تلك الكلمة منه مرفقاً باسمي، لماذا لم أطلب منه؟ لماذا أندبُ حظي الآن؟ فأنا لم أخبره وقتها بما أريد، القمر هو السبب، هو

الذي أخبره بأن يظل صامتاً، لا، لا أظن بأنه القمر، بل قلبي هو السبب فقد أخبره بكل أسراري.

إلهي أخبرني ماذا أفعل، إلى أين أذهب؟

لمن ألتجئ؟

لستُ أرى أحدًا أمامي، وكلّما سألتُ القمر أسأله فإنه لا يوافيني بإجابة كافية وكأنه يريد أن يسمعني هو فقط ويخبر الجميع بأخباري؟ الورود وحدها لا تعرف ماذا تفعل ولا تعرف بأنها تحت سقف وهمي وليست تحت السماء، هو كان إنساناً تائهاً وأصبحت أنا تائهة الآن.

هل حقاً أصبحت تائهة بحبه وتعلّقت به وبملامحه؟ كم كانت البحيرة جميلة عندما جمعتنا وجعلتنا نجلس بمحاذاتها دون أن تنطق بكلمة! لم تمانعنا ولم تهج علينا، لم تفعل كما تفعل في أيام الأمطار الغزيرة، هل هذا هو الحب؟ يجعلنا تائهين، هل الحب حقاً يجعلنا تائهين أم أنه يجيب على كل تساؤلاتنا؟

أظن بأن الحب سيجمعنا في أحد الأيام في كنفه، هل ظنوني ستشفع لي لاحقاً إذا كنت مخطئة؟ آآه حقاً

أشعر بأنني تائهة، البحيرة لها مرسى وأنا دون مرسى ولا أعرف أين سيرسي قلبي، هو لم ينطقها ولم يقل بأنه يحبني، هل أكتفي برسائله وأقرأ معسول الكلام بعيني فقط دون أن أسمعه ينطقها على مسمع أذني؟

دميتي لن تساعدني و لن تجيب تساؤلاتي، لا يوجد أحد سيساعدني في إيجاد الإجابة سوى ليوناردو، متى سألتقي به مرة أخرى؟ لن أذهب لأجلس معه عند البحيرة مرة أخرى، لا لن أذهب، أريد أن أسمع منه تلك الكلمة، ينطقها أمامي ومن بعدها سأرافقه إلى البحيرة وسأجلس معه تحت نور القمر.

سأنام الآن، سأترك لقلبي أن يعيش في حيرة من أمره وأما أنا سأرتاح من هذه الأوهام لبرهة من الوقت، دون أن أخبر قلبي عن مرادي وعن إحساسي، فيومي كان جميلاً ونومي سيكون أجمل.

ماريا كرستوفر

أيار 1930

زيارة ليوناردو

نهضت الشمس من نومها وأعلنت عن بدء يوم جديد، وكان هذا النهار يشع بالنشاط، وكان والدي يتناول إفطاره لوحده فذهبت لتناول الإفطار معه وأنا أرجع بذاكرتي إلى ما جرى بالأمس، وكل الذي عرفته بأنني كنت أعيش أجمل المشاعر والأحاسيس بعدما نطقت بكلمة مضمونها معاهدة وهي من أجمل وأصدق المعاهدات.

عندما نطقت بكلمة أحبك، عاهدت ليوناردو بأنني سأكون له ولوحده ولن أشارك أحدًا غيره بهذا الحب، وكذلك الأشياء التي كنت أحبها سابقاً وأبنائي في المستقبل ولن يدخل حب جديد في حياتي.

صوت طرق الباب في الصباح بشارة خير كما كانت تقول أمي، كان الطارق ليوناردو، هنا خجلت ولكن لم أخجل من أن أجلس معه في حضور والدي، فأنا جلست معه سابقاً لوحدي، آه لقد نسيت بأن القمر كان معنا ولم نكن لوحدنا.

حاولت أن أقترب من قلبه وأعرف سر هذه الزيارة ولكنه لم يجبني، وكان الصمت هو السائد فليوناردو لم يجبني في السابق ولم أسمع صوته فكيف لي أن أسمع صوت قلبه.

أنزلتُ رأسي إلى الأرض وأنا أقدم له كوب الشاي احتراماً وإجلالاً لوالدي، كان منكمشًا على الكرسي وكأن أطرافه تجمعت في مكان واحد، الخجل يرتسم على وجهه ويتلعثم بكلامه وهو لا يعرف من أين يبدأ أو ماذا يقول.

كان والدي يحدق به طوال الوقت وهو يتناول الشاي ولم ينطق هو الآخر بكلمة، إلهي هل أنا صمّاء ولا أسمع حديثهم أم أنهم بُكم لا يتحدثون! إنني لا أرى شيئاً سوى نظرات عيونهم طوال الوقت وهم لا ينطقون بكلمة.

وأخيراً تحرك فمهن الآن سينطق، الآن سيتكلم، شكراً يا إلهي على هذه المعجزة، لم ينطق بشيء سوى أنه كح، هيا يا ليوناردو انطق وقل شيئاً، أين القمر حتى أطلب منه أن يحقق لي هذه الأمنية وهو أن ينطق

ليوناردو أمام والدي.

كان يحدق بي طوال الوقت وكأنه لأول مرة يراني، هل شعري مرتب؟

هل ملامحي جميلة؟

هل أنا مرتبة؟

نعم،

إذاً لماذا هذا التحديق طوال الوقت؟ كانت نظراته تقتلني وهو قرر الصمت.

انتهى والدي من شرب الشاي وليوناردو لم ينطق، نهض والدي من مكانه وحصل الأمر المنتظر وحصلت المعجزة، نطق ليوناردو أخيراً، تكلم ليوناردو وأخبر والدي بأنه يريد الزواج بي.

ابتسم والدي وأخبره بأنني أمامه وبإمكانه أن يسألني مباشرة، وهنا صمت يعم المكان مرة أخرى وكأن الصمت أصبح أجمل حكاياته وأجمل قصصه، كان ينظر إليَّ وينتظر إجابة من عيني، كيف له أن يفهمني من عيني، إذا كان جوابي نعم سأغمض عيني وإذا كان جوابي لا فسأفتح عيني بكل ما أوتيت بقوة، أم أفعل

obeikandl.com

العكس؟ احترت بلغة العيون كثيراً ولكن أعاهدك يا إلهي بأنني سأتعلم لغة العيون حتى أستطيع التواصل مع ليوناردو والآن لا أريد سوى الخروج من هذا المأزق الذي وقعت به.

ليوناردو لم ينطق بكلمة وابتسم، وحتى أنهي الموضوع وأخرج من المأزق، أجبت دون أن يسألني بأنني موافقة وذهبت إلى غرفتي وألقيت بجسدي على سريري وبجانبي دميتي ووردتي وأنا أنظر إليهما بابتسامة، سأتزوج ليوناردو، وأخيراً أعلن عن حبه لي ولكنه إلى الآن لم ينطق بتلك الكلمة التي أنتظرها منه.

لا تخافي يا دميتي سآخذكِ معي ولن أتركِكِ هنا وستكونين أول الحضور في حفل زفافي، سأنتظر القمر اليوم حتى أخبره بأنها تحققت أجمل وأرق وأعذب أمنية.

خرجت من المنزل وجلست في حديقة الورود وأنا أنظر إليها بعين مسرورة وعين أخرى حزينة، انتصف قلبي وقتها إلى نصفين، نصف فرح ونصف حزين.

النصف الحزين من قلبي هو أنني سأفارق حديقتي

التي تعبت عليها ووعدتها بأنني لن أتركها، كل ذلك بسبب القمر، فلا أعرف ماذا ينوي أن يفعل بي، هل يريد أن يفجع قلبي مرة أخرى بورودي وابتعادي عنها، إلهي هل لك أن تخبرني ماذا أفعل؟ لا أستطيع أن أنقل ورودي إلى منزل ليوناردو، وجدتها، أستطيع أن أنقلها معي، سأقتلعها من جذورها، ومن تربتها وسأضعها في وعاء وسأنقلها معي.

أيها النصف الحزين من قلبي أسعد وأفرح، فأنا لن أترك ورودي هنا، سآخذها معي وستكون معي حتى آخر رمق من عمري، هيا يا نصفي الحزين كفاك حزنًا وألمًا فقد وجدت الحل، أرجوك لا تدمر فرحتي.

سيحين زفافي بعد أيام وسأرتدي ثوب أمي الذي ارتدته في حفل زفافها وسأضع خاتمها وسأكون جميلة مثلها، لا أريد شيئاً من ليوناردو سوى قلب صادق أستطيع أن اعيش به طوال عمري.

افرحي أيتها الورود لفرحي واسعدي أيتها الحديقة لسعدي، فأنا بعد أيام سأكون أجمل عروس وسأشبه أمي وسأكون في مكانها، في نفس المكان الذي

تزوجت به والدي، في الحديقة هذه، نعم، لن أرضى بمكان آخر فمكاني هو بينكم ومعكم.

هيا غني أهازيج الفرح، هيا تمايلي وارقصي فرحاً، بعد أيام قليلة سيكون أسعد أيام حياتي، سأزف لشخص قلبي صادَقَ قلبه قبل أن أحبه، قلبي لن يختار لي أي شخص ولن يخيب اختياره أبدًا.

سترتدي دميتي ثوباً أبيض، لا، لا، سترتدي دميتي ثوباً أحمر وسيكون عليها جميلا وسأزين شعرها ببعض الورود.

بعد أيام سأكون أسعد خلق الرب، فسعادتي لا توصف، يجب أن أذهب إلى البحيرة حتى أخبرها بأنني سعيدة، وأنا أعلم بأنها ستفرح كثيراً لأنها هي كانت السبب في جمعي مع ليوناردو في تلك الليلة، أستطيع أن أسميها ليلة صمت، لا، لا، بل ليلة صمت البوح، هذا الاسم أجمل، سأدوّن اسم تلك الليلة حتى لا أنساها وسأخبر ليوناردو بها، وأعلم بأنه سيسعد باختياري لهذا الاسم.

أيتها الشمس نامي، أريد أن يستيقظ القمر من سباته

فهناك الكثير مما أريد أن أخبره ولن أخبر أحداً آخر به، لم تغب الشمس في ذلك اليوم بسرعة وكنت أعد الثواني حتى تغيب، هل أذهب إلى البحيرة قبل أن تغيب الشمس؟ لا، سأذهب إليها بعد غياب الشمس وطلوع القمر.

ماريا كرستوفر

حزيران 1930

obeikandl.com

البحيرة والقمر

استيقظ القمر من نومه العميق وكان نوره مشعاً وكان في ذلك اليوم مكتملاً، أظن بأنه يريد أن يجمع الأمنيات ولكن ليست لديَّ أمنيات اليوم، لأن أمنيتي تحققت وسأكون تحت سقف واحد مع قلبه.

استأذنت من دميتي وذهبت إلى البحيرة أمشي بخجل، لا أعلم لماذا الخجل كان يعتريني ولا أعلم لماذا الخجل رافقني، أيها الخجل أريدك أن تبتعد عني قليلاً فأنا أريد أن أكون لوحدي مع البحيرة والقمر وأريد أن أخبرهما بأسرار لا أريد أن يعلم بها أحد سوى القدير والبحيرة والقمر، لا تخف أيها الخجل حتى قلبي لن يعلم بذلك، لن أخبره لأنه سيخبر ليوناردو بذلك.

استجاب الخجل لسحر كلماتي وابتعد وهو به خجل ومشيتُ حتى وصلتُ إلى البحيرة ورأيتُ انعكاس القمر على البحيرة ورأيت به جروحاً لا أعلم ما هي أسبابها؟ هل الحفر التي فيك أيها القمر تؤلمك أم أنها حفر قديمة أكل عليها الدهر؟ هل عندما كنت صغيراً

كنت مشاغباً ولا تسمع لأحد؟ أخبرني أيها القمر، آه لقد نسيت بأنك في ليلة جمع الأمنيات ولا تستطيع التحدث لأنك تستمع إلى أمنيات الجميع وتحققها لهم.

لا تختبئ خلف أغصان الشجر أيها القمر، فأنا أحتاج لرؤيتك حتى يتسنى لي الحديث معك، لا أريدك أن تقترب فهكذا أفضل أنت بعيد إلا أنك تسمعني جيداً، هل لك أن تنتظر أيها القمر حتى أسأل عن أحوال البحيرة فإنني أراها هادئة ولم تنطق بأي كلمة أو أنها لم تتحرك من مكانها، هل تظن بأنها ماتت؟ لا، لا أظن ذلك فهناك حركة خفيفة أراها.

أيتها البحيرة، أنتِ هنا منذ القدم ورأيتِ كل شيء وتفهمي كل الذي يجري من حولكِ، لا أريدكِ أن تخبري أحدًا بجلوسي مع ليوناردو أمامكِ، هذا أحد أسراري الكبيرة التي أضعها بين ثناياكِ.

هيا أيها القمر، اجتمع مع البحيرة وانتصف فيها حتى أستطيع الحديث وأخبركما بالذي حصل لي، ستؤلمني رقبتي كثيراً إذا نظرت إلى السماء، لذا أريد أن أراك في منتصف البحيرة وأنتما تسمعان إلى حديثي.

أيها القمر أريد أن أسألك سؤالاً ولكنني أعلم بأنك لن تجيبني بل الأيام ستجيب عليه، هل عشقت أحداً في أحد الأيام؟ هل جربت الحب؟ أظن ذلك يا جامع الأمنيات لأن النور الذي يسكنك إذا لم تحبه فكيف له أن ينيرنا؟ هل هذا صحيح؟ أظن ذلك أخبرني عن تجربتك مع نورك، أريد أن أعرف أسرارك، هل تلك الحفر التي تملؤك من آلامك أم من نورك؟ أم أنها شقاوة طفولتك؟ لن تتحدث أيها القمر، كنت أعلم بذلك.

أيتها البحيرة قد حان دورك أنتِ يا من تسكني في مكان واحد ولا تنتقلي إلى مكان آخر فأنا لم أركِ تتحركي وتذهبي إلى مكان آخر، هل أنتِ مرغمة على ذلك؟ أم أنكِ عشقتِ هذا المكان؟ أظن بأنك أحببتِ هذا المكان وارتبطتِ بالأرض التي تحتكِ ولا تريدي أن تتركيها، هل يؤذيك سقوط المطر؟ هل تغاري من المطر؟ أم أنكِ تحبين المطر لأنه يمتزج بكِ ويجدد نضارة حياتكِ، كم أنتِ جميلة أيتها البحيرة!

هل تريدون معرفة السبب الذي أتى بي إلى هنا ولوحدي، وتركت دميتي في المنزل؟

السبب هو أن قلبي وقع بحب قلب آخر وعندما يقع قلبي في الحب فأنا كذلك أقع في الحب، نعم، لقد وقعت في الحب ووجدت بأنه من أجمل المشاعر والأحاسيس التي أعيشها اليوم، كم هو جميل عندما يبادلك شخص شعوراً غريباً لا تستطيع أن تصفه ولا تستطيع الحديث عنه، ليس خجلاً ولا خوفاً ولا لشيء آخر، هل تعرفون ما هو السبب؟ السبب أنه ليست كل المشاعر والأحاسيس نستطيع أن نصفها وننطق بها، بل نشعر بلذتها بداخلنا وفي أعماقنا وتسري في دمائنا وتعيش فينا وتتمكن منا وتبقى معنا للأبد، فالحب لا يبتعد عنا أبداً بل يصوننا ويقف معنا في كل المواقف ويكون حاضراً في جميع الأماكن، الحب يسكن فينا وكأنه اتخذ من قلوبنا بيتاً له وسكناً له وغطاءً له.

الحب من أجمل المشاعر التي نستطيع أن نعيشها ونشعر بها، يجدد حياتنا وكأننا ولدنا من جديد وكأن حياتنا قبل الحب لم تكن لنا حياة، هل هذا صحيح؟ هل أنا محقة؟ أجيبوني؟ أجيبوا على تساؤلاتي الكثيرة.

لامستُ قلبه الجميل عندما رأيت بريق عينيه

الخضراء، التي رسمت لي طريقاً لم أكن لأعرفه من قبل، لست أعرف شيئاً سوى أن هناك شيئاً ما تمكن مني في وجود هذا الشخص معي، أحضرته لي الأيام، عذراً أيها القمر فليست الأيام هي من أحضرته لي، إنما أنت الذي أحضرته لي عندما سمِعْتَ أمنيتي انطلقت من فاهي ولكنها كانت من قلبي، كيف أنطق بشيء يكون من قلبي؟ لا أريد تفسيره الآن، أريد أن أعيش تلك الأحاسيس والمشاعر، فأنا لم أجرب الحب مسبقاً ولا أعرف ما هو معناه، أحببت دميتي وحديقتي ووالديَّ ولم أحب شخصاً دخيلاً، ولكن أيها القمر لا تخف فهذا الشخص ليس دخيلاً لأنك أنت من اخترته لي وأحضرته لي، وأخْبَرَني بأنه أرسل الأمنيات إليك وأنت حققت له هذه الأمنية، لا أريد أن أسمع منك إنكاراً، لقد تذكرت فأنت لا تستطيع أن تنكر شيئاً، لأنك في ليلة جمع الأمنيات، أيها القمر أجمع كل الأمنيات وحققها. سمعت كثيراً عن الحب من والدي عندما وقع بعشق والدتي ولكنني لم أدرك معنى هذا الحب لأنني كنت صغيرة وكانت هذه الكلمات والمصطلحات

جديدة عليَّ، أريد أن أعيش الحب بعيداً عن حياتي المعتادة وأغراضي التي أحبها، أريد أن أجرب الحب مع ليوناردو فهو يأخذني لعالم أسمى وأرقى من هذا العالم الذي أعيشه وأراه، أليس ذلك أيها القدير؟

أما الآن سأخبركم بأكبر أسراري ولا تخبروا أحدً، أيها القمر لا تخبر رفاقك رجاءً ولكن أريد منك أن تخبر والدتي التي أصبحت رفيقة دربك ومعك، أيتها البحيرة لا تخبري أحدًا فأنا أثق بكِ جيدًا ولا تدمري ثقتي بكِ، أتاني ليوناردو في صباح اليوم وقرر أن يجمعني معه في منزل واحد وتحت سقف واحد وسأكون له ولوحده للأبد ووافقت على ذلك وأنا فرحة ومسرورة وسعادتي لا توصف، لا تخافي يا بحيرتي فأنا لن أنقطع عن زيارتكِ وسأزوركِ من وقت لآخر، وأنت أيها القمر ستلاحقني أينما ذهبت فلن تبتعد عني ولن أبتعد عنك.

لقد أنهكني التعب وحان وقت نومي، سأذهب الآن إلى المنزل، وداعًا أيتها البحيرة وأنت أيها القمر ستتبعني إلى المنزل فأنت تحرسني.

ماريا كرستوفر حزيران 1930

الحفلة الراقصة

قبل زفافنا بأيام دعاني ليوناردو للذهاب إلى حفلة راقصة كانت تقام في المدينة، وأنا لا أحب زيارة المدينة لاكتظاظها بالناس، فلا أجد محلاً لإبرة ولكن لم أستطع أن أرفض له طلباً.

قمت بارتداء ثوب جميل وكان هو بانتظاري، ذهبت معه إلى تلك الحفلة الراقصة ولم يتكلم كثيراً في الطريق وكان يكتفي بإمساك يدي بإحكام حتى لا أفلت منه، كنا نجلس في الصف الرابع منتصفين الجميع وكأننا نقسم مجتمعنا إلى نصفين، شاب وفتاة واكتملت حياتنا من المبتدأ حتى المنتهى.

بدأت تلك الحفلة وكانت الألحان جميلة جدًا ومتناغمة مع أداء العارضين، لقد تهتُ في تفاصيلهم كثيرًا وعشتُ في عالم آخر وكأنني نسيت نفسي أنني في حفلة.

تناغم لحن آريا والتفافه مع المؤدي وجمعه بالمؤدية وتناسقت أجسادهم، أمسك بيدها بكل رقة وجذبها

نحوه وتلاقى وجهه مع وجهها وكانت تقاسيم وجوهيهما متقاربة من بعضها، كانت العينان بالعينين والأنف بالأنف وأما فمه فكان قريباً من فمها ولكن الأنف تدخل من بينهما وأبعدهما عن بعض وأبعدهما من قبلة كانت وشيكة.

كانت الألحان تصخب تارة وتهدأ تارة وتمشي على رتم واحد تارة أخرى، انخفض لها وبدأ بالاعتلاء قليلاً ابتداءً من رجلها منتهيًا بملامح وجهها وكررت هي تلك الحركة مرة أخرى، أمسكها على اللحن الصاخب من خصرها ورفعها للعلالي وهو يمسكها بيديه الاثنتين ويلتف بها قليلاً ويهوي بها إلى الأرض.

كانت الألحان ترفع من مستوى الأداء وكانت ذات ألوان مختلفة، تخيلت نفسي مكانها وأراني أرقص فرحاً وأنا أجلس في مكاني ولكنني كنت أتخيل ذلك.

انتهى العرض الأول وأنا كلي اندهاش من هذا الأداء الجميل وكأن المؤدين يحبون بعضهم بعضاً، فلن يؤدي شخص هذه الرقصة سوى لأنه شعَر بأحاسيس الحب وامتزجت به وتسربت إليه وعاشت فيه.

سرحتُ كثيرًا في تلك الحفلة التي أخذتني إلى عالم الفن الذي لم أكن لأعرفه أبداً، وقعت التفاتة مني على ليوناردو وهو ينظر إليَّ دون أن ينطق بكلمة، إلهي لقد نسيت أن أتعلم لغة العيون، أعدك بأنني سأتعلمها لاحقاً ولكن أريدك أن تنقذني من هذا الموقف مرة أخرى، فأنا لا أعرف ماذا يريد أن يقول أو إلى ماذا يرمي، آه، شكراً لك أيها الرب فقد ابتدأ العرض الثاني.

لم يعجبني العرض الثاني كثيرًا فقد كان رقصاً كلاسيكيًا وهادئا، فأحسستُ بالضجر وانتهى سريعاً، رحل الجميع وأما نحن فقد كنا نجلس في مكاننا، ولا أعرف ماذا يريد أن يفعل!

طلب ليوناردو من مدير المسرح أن يضع لحن آريا، وطلب مني الوقوف على المسرح، ابتدأ اللحن وقام بإمساك يدي بكل رفق وهو يلفها ويلتف من حولي وكررها مرارًا ومن بعدها وضعَ يديه على ظهري وجذبني إليه والتقت عيني بعينه وأنفي بأنفه وكانت القبلة وشيكة ولكن منعه الأنف من ذلك، يا إلهي إنه يكرر تلك الرقصة التي أحببتها وعشقتها.

عشت ذلك اللحن الذي جعلني أشعر بأنني أجمل فتاة على وجه الأرض، نسيتُ دميتي ونسيتُ حديقتي ونسيتُ كل شيء وكنتُ حاضرة في تلك اللحظة أمامه فقط وأمام ذلك اللحن الجميل الذي جعلني أعشقه أكثر، أنهى الرقصة بإمساكي من خصري والنظر في عيني.

أحسستُ وقتها بحنانه ودفئه، لأول مرة أعرف بأن هناك رجالاً مختلفين، كنتُ أعرف رجلاً واحداً وهو والدي واليوم أصبحت أعرف رجلين، الرجل الثاني أخذني بحبه لي لعالم العشاق، لعالم ليس به إلا أنا وهو ولا يوجد أحد سوانا.

أغمض عينيه وأمسك بيدي وكنت أراه بكل فضول لأعرف ما هي الخطوة التالية، إلهي لقد تذكرت، هل يريد أن يخبرني بأنه يحبني؟ لأنه أخبرني في تلك المرة إن كنتُ أريد أن أقولَ له أحبك أن أغمض عيني وهو الآن فعلها، إلهي اجعله ينطقها فأنا متعطشة أن أسمع هذه الكلمة من رجل غير والدي، فوالدي يكررها مرات كثيرة في اليوم على مسمعي ولا أملّ منها، أريد

أن أسمعها منه وهو ينطقها وأنظر إلى معالم وتفاصيل وجهه وهو ينطق بها وأسمع اسمي مصحوبًا بكلمة أحبكِ.

كان يمسك بيدي ولم ينطق بشيء ولم يفتح عينيه وكأنه ينتظر اللحظة المناسبة حتى ينطق بها وكأنه يستشعر بها في أعماقه، كم هي جميلة هذه اللحظة التي أعيشها وكم هو جميل هذا الإحساس، كم هو جميل وجودي بين يديه ومعه ولا أحد معنا، حتى القمر لا يعرف ماذا نفعل فنحن تحت السقف ولا يرانا، ولن يخبر أمي بذلك.

هيا يا ليوناردو فأنا انتظرت تلك اللحظة مطولاً، لا تمنعني منها ولا تجعلني أنتظر أكثر، فأنا مشتاقة لأن أسمع تلك الكلمة منك، لا تجعلني أشتاق إليها أكثر من شوقي هذا، هيا حرك شفتيك وأخرج صوتك من حنجرتك وأؤمر حبالك الصوتية أن تنطق بالكلمة التي أنتظرها منك، لن أرفع علامات استسلامي ولن أستسلم حتى أسمع منك تلك الكلمة.

آه، هل سأنتظر كثيراً؟ لقد مللت الانتظار، لا تفسد

هذه اللحظة وأكملها بنطق الكلمة التي طلبت مني أن أنطقها، لا تكن أنانيا فالأنانية لا تليق بك.

أخيراً، أخيراً تحركت شفتاه، سينطقها الآن، لا، لن أغمض عيني فأنا أريد أن أراه ينطقها، ها هي شفتاه تحركت وخرج صوت من حنجرته، إلهي نطق باسمي، نطق باسمي أخيراً، أرفق اسمي بالكلمة التي أنتظرها منك، شكراً لك أيها القدير لقد نطق ليوناردو باسمي مصحوباً بأحبكِ.

فتح ليوناردو عينيه وهو ينظر إليَّ وكنت أبتسم وقتها فابتسم لابتسامي، إلهي كان الوقت يمر بطيئاً وكنت أريد أن يمر ببطء أكبر فاللحظات الجميلة تجري ولا تنتظر، كنت خائفة وكنت متشوقة، خائفة من المجهول ومتشوقة لسماع الكلمة من رجل غير والدي، من رجل سأكون معه حتى آخر عمري.

لن أخبر أحدًا بسرّي الكبير هذا، لن أخبر دميتي، ولن أخبر القمر ولن أخبر البحيرة.

ماريا كرستوفر

آب 1930

زفافي

تقرر زفافنا في أجمل أيام عمري، تقرر زفافنا في يوم مختلف عن جميع الأيام، اختار ليوناردو عيد ميلادي حتى يحتفل بي مرتين في يوم واحد.

جهزتُ حديقتي وجهزتُ ثوب دميتي فأنا أريدها أن تكون أجمل من كل الحضور، فهي صديقتي الوحيدة التي لا أعرف غيرها ولا أريد غيرها.

ابتعتُ الورود وقمتُ بتزيين شعر دميتي بتلك الورود، وأما أنا فارتديت ثوب والدتي الأبيض، حيث كان ثوباً خفيفاً وجميلاً وراقياً حتى أنه راق لي كثيراً، فهو كذلك أجمل، صعنتُ لي تاجًا من الورد ووضعته على رأسي وأنا أمسك بورود بيضاء في يدي، كلها كفيلة بأن أكون جميلة.

أما ليوناردو فارتدى بدلة سوداء فهي جعلت منه وسيماً وربطة عنق بيضاء، أراد شيئاً منه أن يكون مثلي، ربطة عنقه وثوبي الأبيض، كانت الحديقة جميلة في ذلك اليوم، طاولات بيضاء منتشرة في كل مكان

بترتيب جميل.

كان الحضور كثيراً، دعا والدي الكثيرين الذين لا أعرفهم، يا إلهي لقد نسيت أن أدعو القمر لحفل زفافي ولكنه نائم الآن، ستخبره الشمس بذلك وسيعذرني ولن يغضب مني.

كان يقف ليوناردو في المكان المعد لنا، كنت أقف في المنزل مرتبكة وكان والدي يخفف من ربكتي، ابتسمت له ولم أنطق بكلمة.

يا قلبي أشكرك على اختيارك لقلب ليوناردو فأنا أعلم بأنه لن يخذلني ولن يتركني لوحدي في أحد الأيام وسيكون رجلاً مخلصاً كما كان والدي مع والدتي، يا قلبي أعجز عن شكرك، أعجز عن تعبير امتناني لك، فأنت أكثر شيء أستطيع أن أشكره وأرد له الجميل، هيا بنا نخرج يا قلبي سوياً، فدميتي تنتظر وتجلس في أول مقعد وقد ترأست الحضور، لقد اعتذر القمر عن الحضور وكذلك البحيرة ولكنني سأخبرهما بتفاصيل هذا اليوم.

أمسك والدي بيدي وهو ينظر إليَّ بعين سعيدة

وأخرى حزينة لأنني سأفارقه وسأبتعد عنه ولن أكون معه في المنزل الذي احتوانا، لا أعرف ما هو شعوره ولكنني أشعر به، لا تخف يا والدي فأنا لن أنقطع عن زيارتك وسأكون دائماً بجانبك قبل أن تطلب مني ذلك.

فتح والدي الباب على مصراعيه ورأيتُ العدد الكبير من الحضور يقفون على الجانب الأيمن والأيسر، وأما في المنتصف فهناك سجادة حمراء وقد انتشرت الورود البيضاء عليها، لأول مرة سأمشي على الورود التي أحبها، رائحتها جميلة وامتزجت بالهواء وليس بها شوك كالشوك الذي آلمني عندما كنت فتاة صغيرة.

تقدم والدي ومشيت بجانبه والجميع ينثر الورود علينا وأنا أمشي ببطء ولا أريد أن تنتهي تلك اللحظة، آه كم هي كثيرة تلك اللحظات التي لا أريد أن أنساها ولا أريدها أن تمر! لم أرفع رأسي عن الأرض بل كنت أنظر لتلك الورود التي امتزجت بقلبي وثوبي وربطة عنق ليوناردو.

وصلنا عند ليوناردو وكان يقف مع والده والقسيس

يقف بجانبهما، ابتعد والدانا وذهبا للجلوس في أول مقعد، جلس والدي مكان دميتي ووضعها في حضنه والوردة الذابلة تجلس في حضن دميتي.

أمسك ليوناردو بيدي وقتها وأحسستُ بأنّ مشاعره انتقلت لي وسرت إلى أعماقي، سكنني الحب مرارًا وتكرارًا وأريد أن يسكنني آلاف المرات فأنا لا أكلّ ولا أملّ من حب ليوناردو لي.

وقعت عينه بعيني وتهت بجمال عينيه، وقبل أن يبدأ القسيس بتلاوة الطقوس، انطلقت الألحان من جميع الأماكن وكان لحن آريا الذي أعشقه هو أول لحن أسمعه، نعم هو ذلك اللحن الذي صاحب اعتراف ليوناردو بحبه لي، إذاً هو ذا لحن الاعتراف، كان ينظر إلي مبتسما ولم ينطق بكلمة ولم أنتظر منه أي كلمة، وقبل أن أغمض عيني وجدته أغمض عينه وعند وصوله عند ذلك المقطع الذي نطق به باسمي مصحوبا بأحبكِ حتى فتحنا أعيننا معا، كم هو جميل الشعور الذي يجمعنا! إنها أجمل مشاعر أعيشها اليوم في كنف هذا اللحن المتكرر والذي أسمعه دائماً في أجمل المناسبات.

بدأ القسيس بتلاوة الطقوس وأنا تائهة وغائبة عن تلك الطقوس وكانت عيني ليوناردو تأخذني لذلك العالم، عالم العشاق الذي ألفته وأخبرني به في ذلك اليوم عندما نطق بتلك الكلمة في الحفلة الراقصة.

أعلن القسيس زواجنا وأصبحت زوجته وأصبح هو زوجي، الآن يسكنني قلبه وقلبي يسكنه، كم هي جميلة هذه اللحظة، أريدها أن تبقى للأبد، لا، لا أريدها أن تتكرر ولكن أريد أن أعيش هذا الإحساس الجميل مرات ومرات.

احتضنني ليوناردو وأحسستُ بدفء مختلف عن دفء والدي، دفء مختلف عن دفء دميتي، فأنا احتضنتها آلاف المرات ولم أشعر بهذا الشعور قط، أيتها الورود هل رأيتموني عروسة؟ رأيتموني جميلة أقع في حضن وسيم؟

أخبروني عن شعوركم.

انتهت مراسم الزفاف وليتها لم تنتهِ، أحببت تلك اللحظة وسأحبها حتى آخر يوم من عمري وسأخبر بها أبنائي وأحفادي وسأذكرها بتفاصيلها المملة، لا،

لن تكون هناك أي تفاصيل مملة، بل ستكون من أجمل التفاصيل التي عشتها.

أمي أين أنتِ حتى ترين طفلتكِ التي أصبحت عروسة اليوم؟

لا أريد أن يخبركِ القمر بذلك، أريدكِ أن تشهدي زفافي، أين أنتِ؟ لقد رحلتِ و لن ترجعي، أخبريني أين هو موقعكِ من بين النجوم؟

وفي أي مكان أنتِ حتى أستطيع أن أخبركِ بكل شيء أمر به؟

أمي ها أنا ارتديت ثوبكِ الذي ارتديته في زفافكِ وأخبرني والدي بأنني أشبهكِ كثيراً وأخبرني بأنكِ ستكونين سعيدة لو كنتِ اليوم بيننا.

أمي لن أبكيكِ مجدداً ولكنني سأشتاق إليكِ دائمًا وأبدًا، فأنت سبب سعادتي وفرحي ووجودي في هذه الدنيا وفي هذا العالم، شكراً لكِ يا أمي، أعلم بأن كل أم تتمنى أن ترى ابنتها في يوم فرحها والآن أنا أشعر بهذا الإحساس وأريد أن أرى ابنتي في يوم فرحها، كيف ستكون؟ وماذا سترتدي؟

إلهي رفقا بوالدتي فهي كانت أغلى ما أملك، أيها القمر كن رفيقها فهي فقدت أعز الأشخاص لديها.

أهداني والدي صندوقاً خشبياً وقد وضع فيه الكثير من الهدايا والذكريات، كم هو حنون والدي، لم يذرف الدموع لفراقي ولم يبكِ ولم يحزن، بل تمنى لي كل السعادة.

ماريا كرستوفر

أيلول 1930

obeikandl.com

ماريا وليوناردو

انتهى زفافي وجمعت حاجياتي من منزل والدي ولم أستطع حمل ورودي معي خجلاً من والدي أن أحرمه من شيء يحبه ويعشقه، قررت أن أزرع الورود في حديقة منزلنا.

دخلتُ إلى المنزل وكان جديداً بالنسبة لي، وأول ما بحثت عنه النافذة حتى أرى رفيقي القمر منها، كان كل شيء جميلا، ليوناردو ذوقه رفيع جداً، كيف لا يكون ذلك وهو قد اختارني من بين الكثير من الفتيات.

شكرا لك أيها القدير، فقد زال خجل ليوناردو وأصبح يحدثني دون استحياء وكأن حاجزاً بيننا كان هناك في الوقت السابق، كان ليوناردو فلاحًا يعمل في مزرعة والده وكانت هديته من والده حفنة أرض منعزلة تكون له حتى يبدأ بحرثها ويأكل من عرق جبينه، وأما أنا فقد قررت أن أزرع الورود في حديقتنا وأبيعها حتى أتسلى في الوقت الذي لا يكون فيه ليوناردو معي.

لم يمانع ليوناردو الفكرة وشجعني كثيراً وذهب بي

إلى المدينة حتى نبتاع البذور وأدوات الزراعة، بدأ ليوناردو بحرث الأرض وخصص لي مكاناً صغيراً في الحديقة حتى أستطيع أن أبيع ورودي، وكان مكاناً جميلاً حيث زينه ببعض الأشياء الصغيرة والجميلة، وقمنا بزراعة البذور معًا.

كان يخرج ليوناردو للمزرعة وأنا أخرج للحديقة أسقي الورود وأنا أراها تنبت على مر الأيام وأراقبها، أعتذر يا دميتي عن إهمالي لكِ ولكنكِ لا تحتاجين إلى شيء في الوقت الحالي فأنتِ طوال الوقت تجلسين لوحدكِ ممسكة بتلك الوردة ولا تريدين أن يقترب منكِ أحد لذلك قررت أن أتركِ لوحدكِ لبعض الوقت.

أهملت القمر وقتها ولم أحادثه لوقت طويل، هو أيضاً منشغل بجمع أمنيات الجميع وتحقّيقها لهم وأما عن أمنيتي فقد حققها لي وهو سعيد بهذا الإنجاز، آه، أحتاج للحديث مع القمر حتى أسأله عن أحوال والدتي فأنا لا أعرف الكثير عنها.

سأحادثه عندما يكتمل نوره، سأخبره بكل شيء فأنا اليوم ليست لديَّ أسرار، نعم، ليست هناك أية أسرار

أخبئها على القمر، فهو يعلم بكل شيء.

آه، كم أنا منهكة! سألقي بجسدي على الأريكة، إنها ورقة، لا بد بأنها رسالة من ليوناردو، فتحت الورقة التي كانت مطوية على بعضها و كأنها تحمي نفسها من أي شخص دخيل يمسك بها وكأنها لا تريد أن يعرف الأسرار التي تحملها ولكني سأفتحها وسأعرف ما بداخلها.

" ماريا عشقي الأبدي، لا أعلم من أين أبدأ، أشعر بأن كلماتي قد تهضمكِ حقكِ فأنتِ إنسانة لا أستطيع أن أصف وجودها في حياتي، سابقاً كنت أملك جزءاً واحداً منكِ ألا وهو قلبكِ وأما اليوم فقد أصبحت أملككِ أنتِ، لا أستطيع التعبير عن حبي لكِ فأنتِ شيء فاق حدود الخيال.

لم أخبركِ بأنكِ كنتِ جميلة في يوم زفافنا وكأنني كنت أراكِ لأول مرة، سلبتيني عقلي وقلبي في آن واحد، كنتِ تسكنين في جزء صغير من قلبي واليوم هو بات لكِ لوحدكِ ولن يكون لغيركِ وسأخصص جزءاً صغيراً جداً لأبنائنا.

هل تذكرين ذلك المقطع من ذلك اللحن؟ هل تذكرين كيف عشنا أجمل الأحاسيس في زفافنا؟ هل تذكرين أول مرة عندما كنت ممسكاً بكِ؟ هل كانت أحاسيسكِ مماثلة لأحاسيسي؟ هل فعلاً عشتِ الحب وقتها؟ هل أحسستِ بشيء غريب يسري بداخلكِ؟ هل أرسلت لي مشاعركِ في ذلك الوقت وسكنت فيَّ وستسكن فيَّ حتى آخر يوم في حياتي.

كم هو جميل اسمي عندما تنطقينه وكأنني في كل مرة أسمع اسمي لأول مرة! أنسى نفسي معكِ وبوجودكِ بقربي وبجانبي.

هل تذكرين تلك الليلة التي قضيناها تحت أغصان الشجر أمام البحيرة؟ عندما أخبرتني بأنكِ تحبينني ونفذتِ طلبي، هل تذكرين كل تلك التفاصيل؟ لا أريد أن أنساها أبداً وأريدها أن ترسخ في ذاكرتي طوال عمري وأريد أن أكررها على مسمع أبنائنا.

لم أخبركِ بأنكِ جميلة عندما يكون شعركِ مبعثرا، عندما يلعب الهواء به ويأخذه في كل ناحية ويمنعني من التمتع بوجودها في مكان واحد ولا يكتفي بتحريك

obeikandl.com

شعركِ تحت إمرته ولا أستطيع أن أفعل شيئا سوى النظر والتمتع بهذا المنظر الجميل وكأنكِ من أجمل اللوحات التي رسمها القدير.

لا أستطيع أن أصف حبي لكِ، فأنت من أجمل القصص التي أعيشها وسأعيشها، هذه رسالتي لكِ في غيابي حتى لا تشعري بالوحدة ولا تفتقدي وجودي، فأنا هنا متواجد طوال الوقت بجانبكِ."

ليوناردو

كم هو مرهف الإحساس ليوناردو! الآن أدركت صمته، ليس لأنه يتكلم بلغة العيون، أيها القدير سامحني فأنا لا أريد أن أتعلم لغة العيون وأريد أن أتعلم لغة الصمت، فالصمت يكون دائماً أبلغ من الكلام.

دميتي يا دميتي، أين أنتِ، أريد الاطمئنان عليك، آه، حتى الآن لم أطلق عليكِ اسما، هيا أخبريني يا دميتي ما هو الاسم الذي تريدينه؟ ألا تريدين اسما؟ ستكونين سعيدة إذا امتلكتِ اسما، سأستطيع وقتها أن أناديكِ باسمكِ، لا، لا أريدكِ أن تكوني من دون اسم، جوليا، لا، لا، هذا الاسم لا يليق بكِن روميا، أووف، هذا

الاسم ليس جميلاً، وجدتها يا دميتي، إملينا، نعم، نعم، هذا الاسم يليق بكِ كثيراً، هل أنتِ موافقة على هذا الاسم الجميل والذي يعكس وجودكِ ويعكسكِ أنتِ؟ يا جميلتي يا إملينا، لا أعلم لماذا لم أفكر سابقاً بإطلاق اسم عليكِ، سامحيني فلقد نسيت ذلكن لا تغضبي يا عزيزتي فاليوم تملكين اسما من أجمل الأسماء.

هيا يا إملينا سأتركِ لوحدكِ، سأذهب للاطمئنان على ورودي، هل تريدين مني شيئاً قبل أن أرحل؟ أعرف بأنكِ لا تريدين شيئا، فقط أردت الاطمئنان عليك يا عزيزتي، هيا أخلدي للنوم يا مطيعتي، فأنت دائما تطيعيني.

يا إلهي لقد نبتت ورودي وتفتحت، كم هي جميلة! كم هي جميلة! لأن ليوناردو هو الذي حرث الأرض معي، هيا سأدخل فالظلام قد حل وسيعود ليوناردو بعد قليل ولا بد بأنه يريد أن يتناول شيئاً قبل أن يخلد إلى النوم، فهو يعمل طوال النهار ويأتي منهكاً.

ماريا كرستوفر

تشرين الثاني 1930

نكبة حياتي

مرض والدي مرضاً شديداً وكان قد فتك به المرض ولازم الفراش لمدة طويلة من الزمن، أيها القمر ألم أخبرك بأن تحفظ والدي من كل شر ومن كل مكروه؟ اكتفيت بتحقيق أمنية واحدة فقط، أمنية واحدة فقط.

كنت أذهب يومياً أشرف على والدي وفي بعض الأحيان كنت أنام في المنزل حتى أكون تحت إمرته طوال الوقت، استيقظت في إحدى الليالي وكان القمر مكتملا وهرعت إلى النافذة لأرى نور القمر الساطع والبارد فبروده يقتلني.

أيها القمر، هل أمي بخير؟ أخبرني أيها القمر ماذا تريد من والدي؟ أشعر بأنك تريد أن تأخذه إليك، أرجوك أيها القمر لا تأخذه إليك فأنا أحتاج إليه كثيراً وأريد منه أن يكون بجانبي وأريده أن يحمل أول ابن لي وأول حفيد له، أيها القمر لا تخب رجائي وانظر إلى دموعي التي تنهمر بكاءً على حالة والدي.

أيها القمر، لا تأخذ والدي مني، أريده وأحتاج إليه،

أجبني أيها القمر اليوم فأنا لن أعذرك بجمع الأمنيات، هذه أهم أمنية في حياتي أرسلها إليك، أجبني أيها القمر، أرجوك أجبني، لا تتركني هكذا دون إجابة، أريد أن أسمع منك جواباً، لا، لا أريد جواباً، بل أريد وعداً تقطعه ولن تخلف به، هيا أيها القمر الحاني، هيا يا جامع الأمنيات، اقطع عليَّ عهداً، لن أقبل صمتك اليوم فقد قبلته سابقاً ولم أغضب منك ولم أقل لك شيئاً، هيا لا تخذلني، فأنت لم تخذلني سابقاً.

هل تريدني أن أذهب للبحيرة وستقطع وعدك لي هناك؟ سأذهب، نعم سأذهب إلى هناك في هذا الوقت المتأخر، هيا أريد منك أن تنتصف البحيرة حتى آتي إليك.

ألقيت نظرة على والدي قبل خروجي من المنزل، وجدت بأن أطرافه باردة وهو لا يتحرك من مكانه، بدأت بالصراخ بشكل هستيري، أصرخ باسمه، أصرخ بكل المسميات التي أعرفها من يوم مولدي حتى يومي هذا ووالدي لا يستجيب لي.

كنت أنظر في عين والدي المغمضة وهو لا يتحرك

من مكانه ولا يفتح عينيه، لم يتحرك والدي وأنا أهز جسده بكل ما أملك من قوة وسقط من سريره على الأرض ولم يجبني أيضاً، هل رحل والدي حقاً؟ هل غاب والدي عن الوجود حقا؟ أبي استجب لي، أبي تحرك، هيا يا أبي افتح عينيك، فابنتك لا تستطيع أن تعيش لوحدها، ولا تتخيل حياتها دونك.

لا ترحل يا أبي عني فأنا لا أقوى على رحيلك، لا أستطيع أن أعيش في هذا العالم بغيابك، هل ستغيب حقاً عني وعن أيامي، أبي ألا تريد أن تحمل أبنائي في كنفك، هيا يا أبي انهض من نومك، أنا أعلم بأنك نائم ولا تريد أن تستيقظ حتى تتألم، أبي أنا كنت ذاهبة للبحيرة وسيوافيني القمر هناك وسيعدني بأنك لن ترحل عني، آه، لقد طال رجائي يا أبي.

أبي أخبرني هل كان الموت مؤلماً، أخبرني يا أبي كيف كان إحساسك؟

لا تخفي عني شيئاً فأنا لست مبالية بعد اليوم ولست أهاب الموت، لا يوجد هناك من أخسره وأنا قد خسرتك وخسرت والدتي في السابق، ليوناردو لن يحزن عليَّ

كثيراً فهو تشغله المزرعة كثيراً وسينساني سريعاً.

أبي جاوبني بصمت، نعم أريد أن أسمع منك الصمت فأنا طلبت من القدير أن أتعلم لغة الصمت، فقط افتح عينيك وجاوبني بصمتك ولا تنطق بكلمة، أبي أريدك أن ترجع للحياة مرة أخرى، أريد أن أخبرك كم أحبك وأريد أن أخبرك كم أنني مشتاقة لك ولضحكتك ولابتسامتك، سأشتاق لرائحة المزرعة ورائحة حرثك ورائحة يديك، سأشتاق إليك كثيراً يا أبي.

أبي كفاك لعباً معي فأنا لم أعد تلك الفتاة الصغيرة التي توهمها بإغماض عينيك ومن بعد ذلك تفتحها، أبي أنا لا أحب هذه الألعاب، هيا يا أبي، استيقظ، طال رجائي وأنا أجلس بين يديك وأنت تسمعني ولا تجيبني، هل اشتقت لوالدتي وتريد الذهاب إليها؟ هل تريد أن تكون بقربها؟

هل تريد أن تكون معها؟ هل تريد أن تحميها من القمر؟ أنا هنا أيضاً أحتاج إليك وأريدك أن تكون بجانبي، لا تتركني وحيدة يا أبي.

أبي كفاك عبثاً معي، هيا بنا نسقي الورود، هيا بنا

نجلس معا وتخبرني عن الصندوق الخشبي الذي أهديته لي، أبي لا أستطيع النظر إليك هكذا دون أن تجيبني، يا إلهي، أيها القدير، ساعدني و أخبر والدي بأنني أحتاج إليه أكثر من أي وقت سبق، أخبره بأنني لا أحتمل فراقه، أخبره عن مشاعري وأحاسيسي.

نعم، رحل والدي في ذلك اليوم، رحل وتركني وحيدة، رحل وذهب إلى أمي وسيقف عندها ويراقبني من بعيد وسينضم إلى أصدقاء القمر، غاب والدي عن الوجود، تركني حزينة لوحدي، ترك طفلته تعيش في هذه الحياة لوحدها، تركني دون أن يودعني، دون أن ينطق بكلمة الوداع، دون أن يخبرني بعتابه أو حبه أو حتى الأمور التي كانت تشغله.

كم هو مؤلم عندما يرحل سندنا ويتركنا لوحدنا في هذا الكون الفسيح والعالم الكبير، إنه ألم لا أستطيع أن أصفه أو أن أتكلم عنه، إحساس الفقد لا نستطيع أن نتحدث عنه أو حتى نشاركه أحداً، كم هو مؤلم عندما نلتفت من حولنا ونجد بأن أسباب وجودنا في هذه الدنيا غير موجودين وتركونا نخوض حياتنا لوحدنا.

آه أيها القمر لا أريد منك شيئاً، اتركني لوحدي، لا أريد منك وعودًا فأنت دائمًا تنكث وعودك ولا تصدقني الحديث اكتفيت فقط بتحقيق أمنية واحدة لي وابتعدت عني وتركتني أعاني في وحدتي دون والدي، أخذت والدي إليك وأردته أن يكون من أصدقائك ويكون معك وفي صفك، لقد أخذت مني والدي فرحًا مسرورًا وتركتني أبكيه بكاءً مرًا، أيها القمر لقد اكتفيت منك ولا أريد منك شيئاً.

جرح كبير في قلبي لن يزول طوال عمري، رحيل والدي عني هو أكبر جروحي ولا أعرف كيف سأعيش لوحدي وبدونه.

ماريا كرستوفر

شباط 1931

oberkandl.com

التابوت

جلست طوال الليل عند جثة أبي الهامدة والباردة، جسد بدون روح، كانت من أقسى ليالي عمري ولا أظن بأنني سأعاني قسوة أخرى، إذا رحل الأب من سيحل محله ومن سيكون في مكانه، لا أحد يستطيع أن يحل محله وهذه هي الحقيقة المؤلمة.

ذهب القمر للنوم بعدما أخذ والدي بجانبه وفرح بهذا الإنجاز العظيم لأنه جمع والديَّ في سمائه معاً وبالقرب منه، استيقظت الشمس من نومها وكانت أشعتها تسترق النظر من النافذة ودخلت ببطء وكأنها خائفة من هذا الغزو وكأنها لا تريد أن تدخل منزلاً يسوده الحزن وفيه جسد دون روح.

أظن بأن أشعة الشمس كانت تبكي ولكن بخفية دون أن يلحظها أحد ، لم أرَ دموعها ولكني رأيت دلالات على ذلك، امتلأ منزلنا بأشعة الشمس ولكنها لم تأتِ بالقرب من والدي لأنها تعرف بأنه إذا تعرض للشمس سيعود للحياة، كانت تلك هي ظنونها التي

أخذتها من صديقها القمر، لا تخافي أيتها الأشعة إذا تعرض والدي لكِ فإنه لن يعود للحياة أبدًا لأن القمر قرر أن يكون معه وقرار القمر لا يتراجع فيه أبداً ولا يناقش فيه أحدًا فهو كقرار تحقيق الأمنيات، نعم فهو لا يشاور أحدًا، فقط يكتفي بتحقيق الأمنيات ويكتفي بتنفيذ ما نرمي إليه.

رأيتُ ظِل ليوناردو وهو يقف عند مدخل المنزل، لمحته في الأرض دون أن أراه، كان ضخماً وقتها، أخبرتني أشعة الشمس بأنه ينظر إليَّ بحزن مشفقاً عليَّ ويستعطفني، لم يقترب بخطوة أو يبتعد، كان ينتظر مني التفاتة وأنا ملتفة حول جثة أبي ممسكة بيده الباردة وأبكيه بكاءً مريرًا، لم أبكِ هكذا أبدًا ولا حتى عندما كنتُ طفلة، أحسستُ حينها بطعم دموعي المالحة ومن يومها كرهت الملح لأنه يذكرني ببكائي المرير.

نظرتُ إلى ليوناردو بعين مكسورة ومنتفخة وحمراء كلون وردتي الذابلة، امتلأت عيناي بماء الدموع المالحة وتتعالى شهقة بكائي ويتعالى نحيبي، هل أبكي فراقك يا أبي؟ أم أبكي اشتياقي لك؟ أم أبكي ابتعادي عنك؟

كلها كلمات تؤدي إلى شيء واحد وهو غيابك عني يا والدي العزيز.

اقترب مني ليوناردو ببطء ورفعني من مكاني ومسكني بإحكام الحنان واحتضنني فأكملت بكائي على صدره الحاني والدافئ، هل سيعوضني ليوناردو حنان والدي؟ هل سيكون لي الآب الآخر الذي لم ينجبني؟ هل سيدللني كما فعل والدي ذلك؟ هل سيكترث لي؟ أظن ذلك لأنه أخبرني بأنه يحبني ولن يتخلى عني.

إنه أول موقف سأقيس فيه صبر ليوناردو معي.

خاطبني بصوت متألم بأنه قد تم تجهيز مراسم الدفن والتابوت عند باب المنزل وبأنهم سيضعونه في ذلك التابوت لوحده وللأبد، سيكون أبي وحيداً بعدما كنت أنا معه، ستكون جثة والدي لوحدها وستترك الزراعة والحرث والمزرعة والحديقة، لا شيء من تلك الأشياء سترافقه في التابوت، سيكون التابوت مظلماً كظلمة الليالي السوداء الموحشة.

لا أظن بأن والدي يهاب الظلمة، فقد كان كثيراً

ما يتأخر إلى ما بعد الغروب وكان يجلس في المزرعة بعض الوقت وحيدًا دون أن يكون معه أحد، أعرف بأنك يا أبي لا تخاف الظلام ولا تستوحش وحدك، هل هذا صحيح؟ أخبرني وأجبني حتى أرتاح، إلهي لقد أخذ والدي صفة القمر وأصبح يسمعني ولا يجيب، وعرفت حينها لماذا والدي لا يجيبني لأنه سيكون صديقاً للقمر.

ها هم يحملون جثة والدي الباردة ويضعونها في التابوت، دعوني ألقي نظرة أخيرة عليه، دعوني أنظر إلى وجهه، دعوني أدقق في ملامحه، إنها ملامح باردة ولا أعرف منها إن كان مبتسمًا أو حزينًا، نظرة أخيرة على والدي قبل أن يتم إغلاق التابوت الذي سيسكنه الظلام الأبدي ولن يكون هناك شيء سوى الظلام.

تم وضع الجثة في التابوت وليس أي تابوت، لأنه سيمنعني من النظر إلى والدي مرة أخرى، سيكون هو الحاجز بيني و بينه، لم يكن هناك أي حاجز بيننا سابقاً، ولكن هذا الحاجز هو الحاجز الأبدي، دعوني، ابتعدوا، أرجوكم، لا تضعوه، اتركوه لبضعة أيام أتأمل فيه وفي

ملامحه، أريد أن أشبع منه، أريد أن أعيش في تفاصيل وجهه مئات المرات به قبل أن ينام في تابوته للأبد، انتظروا، انتظروا، دميتي إملينا تريد أن تودعه، تريد أن تشكره، تريد أن تقول له سرًا، إملينا لها حق النظر إليه فهي ابنته الأخرى التي تبناها.

لا تحزني يا إملينا سأخبركِ بتفاصيل ملامحه، لا تبكي يا إملينا، أنتِ دائمًا مطيعة وتحبين السماع لي، إملينا اذكريه بكل شيء جميل فيه، فهو تبناكِ عندما ابتاعك لي وقرر أن تدخلي إلى منزلنا، اعذريني با إملينا لأنني لم أستطع أن أحقق طلبكِ وهو إلقاء نظرة أخيرة على والدي.

يرحلون بالتابوت إلى حديقة المنزل بعيدًا عن ورودي، في منتصف الحديقة، لا، ليس في منتصف الحديقة، سأخبركم أين!

حملوا التابوت وكأنهم حملوا قلبي معه، فقد كان قلبي متعلقاً بوالدي أكثر من أي شيء آخر.

أيها التابوت أريد أن أوصيك بوالدي اهتم به كثيراً ولا تفرط فيه ولا تجعله يبتعد عنك أو يشكي بأساً منك،

فأنت صديقه الوحيد وأنت ملاذه الأبدي وأنت الذي ستحميه من كل شيء، هل تحتاج أن أوصيك بوالدي أم أنك اكتفيت بهذه الكلمات؟ أيها التابوت رفقاً به، أنا أعلم بأنه لا يخاف الظلام ولكنه ظلام أبدي، لا أعرف كيف أخبرك أو أوصيك بوالدي! ولكنني أخاف عليه كثيراً منك، لن تغدر به صحيح؟ لن تفعل شيئاً يسوءه؟ لن تجعلني أندم؟ لا أعلم هل أفرح أم أحزن، سأفرح لأنك ستحمي والدي كما وعدتني وسأحزن لأنني لن أرى والدي مرة أخرى، سيكون في كنفك وفي حضنك وتحت رعايتك.

مشوا بعيداً وهم يحملون التابوت ونسوا بأن يحملوا قلبي معه، تعالوا خذوا قلبي أرجوكم وضعوه في هذا التابوت وارفقوه مع والدي حتى يتسلى، آه، لا أحد منكم يريد أن يسمعني.

ذهبت إلى منزلي وحملت إملينا ولبست ثوبًا أسودً قاتلاً، كم أكره السواد بعدما كنت أحب ظلمة الليالي.

ماريا كرستوفر

شباط 1931

مراسم الدفن

وصلتُ إلى المكان الذي تكومت فيه الأجساد الراحلة والقابعة تحت الأرض ولا تستطيع حراكاً أو نطقا أو سمعاً أو نظراً، كل حاسياتهم معدومة، كل مشاعرهم ماتت، كل شيء فيهم أصبح بالياً.

وصلت إلى المقبرة برفقة إملينا والوردة الحمراء الذابلة، كنت أرتدي الأسود وكان الحزن يخيم على قلبي وعليّ بأكملي ابتداءً من شعري حتى إصبع رجلي، كل شيء بات فيَّ حزيناً، وجهي الذي بات ممتلئاً بالدموع وقلبي الذي أصبح ممتلئاً بالحزن الكبير ومشاعري المكلومة التي لا تستطيع أن تسيطر على نفسها ولم أستطع أن أسيطر على نفسي.

اجتمع الكثيرون حول حفرة كبيرة، وصل التابوت، وصل والدي، ولكنه وصل جثة باردة لا يستطيع حراكاً ولن يقوى أن يقاوم هذا التابوت ويخرج منه ويحيا مرة أخرى ويرجع للحياة، هذا التابوت كان سبباً في فراقي عن والدي وأي فراق! فراق أبدي لا أستطيع أن

أصفه، وأخبرني ليوناردو بأن بعض المشاعر لا نستطيع وصفها، هذه أيضاً لا نستطيع أن نصفها ويجب أن أضعها ضمن التصنيفات.

أيها القدير هل تستطيع أن تمنع هذه اللحظة؟ هل بإمكانك إيقاف هذا الموقف المحزن؟ أيها القدير ارفق بحالي، أيها القدير ارحمني فأنا لا أستطيع أن أعيش دون والدي، لم أجد إجابة وعيناي مزدحمة بالدموع وكأنها تتعارك أي دمعة ستخرج أولاً، دخلت دموعي في معركة طاحنة وكل دمعة تتسابق للخروج، فهي تريد أن تعبر عن مشاعرها وأحاسيسها كذلك، هي تحتاج إلى مساحة كبيرة حتى تعيش الحزن والألم.

لم تقبل دموعي أن تنتظم وتنزل واحدة تلو الأخرى بترتيب، بل تزاحمت وباتت تسقط على وجنتي كسقوط المطر.

تلا أحد أصدقاء والدي الصلوات وبدأ بإطلاق الطقوس وعبّر عن مشاعره وأحاسيسه، كان الدور عليَّ حتى أعبّر عن مشاعري، حان وقت إطلاق أصواتي الداخلية وأقول كل الذي أريده، كنت مزدحمة بالكثير

من الكلمات الصامتة والتي لا تريد أن تنطق، ولكنني سأنطقها.

وقفتُ على المنصة، لم تكن هناك منصة ولكنني اخترت لنفسي مكاناً أمام تابوت والدي حتى يسمعني، طلبت من دموعي أن تقف وتنتظر في مكانها حتى أطلب منها مرة أخرى بالسقوط، سمعت دموعي كلامي ونفذت مطلبي، استنشقت الهواء وكانت رائحة الأجساد الراحلة منتشرة في كل مكان، وكانت رائحة الموت هي الطاغية.

قررت أن أبدأ بالكلام، وقعت عيناي على ليوناردو الذي كان واقفاً أمامي وكان الحزن واضحًا عليه، ولكنني لا أعلم هل هو حزن على والدي أم أنه حزن وشفقة عليَّ؟ لا يوجد وقت للتفسير، فقط أريد أن أتكلم، أريد أن أعبّر عن مشاعري، أريد أن أخرج الكلمات الصامتة بداخلي.

"عندما يكون الحديث عن الأب، يختلف الكلام كثيراً وتقف الحروف إجلالاً والمعاني يكون لها طعم آخر، ها أنا أقف اليوم بينكم أودع والدي وداعاً أبدياً،

الألم يعتصر قلبي، كيف لي أن أودع شخصاً كان يعني الشيء الكثير والكبير، لا أستطيع أن أتخيل حياتي دونه.

فقدتُ والدتي في حداثة سني ولم أكن أعرف ما هو معنى الفراق، لم يخبرني والدي بوفاتها ولكنه أخبرني بأنها رافقت النجوم وسكنت السماء، كنتُ صغيرة وقتها.

أعيش في حالة صدمة بهذا الفراق والألم، رائحته لا تفارق أنفي، ابتسامته لا تفارقني، لمسات يده لا تفارق يديَّ، نظرة عينه لها مكان في عيني وكأنه يسكن فيَّ، كيف لا يسكن فيَّ وأنا أحبه.

لن يفهم أحد كلامي ولن يدركه إلا الذي فقد والده، لأنه إحساس مختلف عن كل تلك الأحاسيس التي نعيشها، إحساس الفقد مؤلم جداً حتى الموت، حتى الآن لست مصدقة بأنه في هذا التابوت الذي سيأخذه مني ولن أستطيع رؤيته مرة أخرى.

كانت حياتي جميلة بوجوده معي ولا أتوقع أن تكون هناك أيام أجمل من التي قضيتها معه وفي كنفه وفي حضنه وتحت رعايته.

يطول كلامي وآلامي لن تبرأ على مر الزمان، في هذه اللحظات تتوه منا الكلمات وتخوننا العبارات ولا نستطيع الكلام وكأن الكون يتوقف عند هذه اللحظة.

كم تمنيت أن أوقف هذه اللحظة للأبد! وأسترجع الأيام معه وأقضي مزيدًا من الوقت، ولكنها كلها أمنيات لا أستطيع تحقيقها وهي الآن باتت ماضياً.

أيها القدير، أيها الحضور اعذروني".

أنهيتُ كلامي وأحسستُ بقليل من الراحة ورجعتُ لأقف في مكاني، وضعوا التابوت في تلك الحفرة التي لا أريد أن أنطق باسمها، ليس كرهًا فيها بل لأن تلك الكلمة تؤلم عندما ترتبط بشخص عزيز لم نتوقع فراقه في أحد الأيام.

بدؤوا بتغطيته بالتراب وأنا أنظر بعين مكسورة وإحساس مؤلم ومشاعر لا أريد أن أصفها، بدأت دموعي بالانهمار ولكن هذه المرة كانت كالشلال ولم يكفِ انهمارها كالمطر، بل سقطت دموعي بغزارة.

أخذني ليوناردو إلى حضنه دون أن ينطق بكلمة،

لقد أحسستُ ببروده رغم حنانه الدافئ، لا أجد تفسيراً لهذا الشيء، هدَأت وخَفتَ صوتي ومسحتُ دموعي، رحل الجميع وكنت واقفة أنا وليوناردو في ذلك المكان الذي لا أحب أن أذكر اسمه مرارًا، كنا واقفيْن في المقبرة بعد رحيل الجميع.

هو ينظر إليَّ بعين ألم وأما أنا فأبكي والدي مراراً وتكراراً وكأنني لا أريد التوقف عن البكاء، أمسكَ بيدي وأحسستُ بدفئها يسري إلى داخلي وأحسستُ براحة عظيمة وقتها، يوجد هناك شخص يقف بجانبي، هناك شخص معي، هناك إنسان وليس جماد وليس قمر وليس نجم، هناك شخص حقيقي أراه أمامي، أشعر به ويشعر بي.

كان الصمت وقتها سيد الموقف ونحن نمشي ببطء راحلين عن والدي، تاركينه لوحده في تلك الحفرة وفي ذلك التابوت، لا تخف يا والدي فقد أخبرتُ التابوت أن يهتم بك، لقد أوصيته عليك، سيكترث لأمرك، سيكون معك ولن يخذلك، لن يأخذك أحد منه ولن ترحل بعيداً عنه، ستكون هناك يا والدي بجانب

والدتي عند القمر، ستجتمع بوالدتي أخيراً بعد فراق دام أعواماً مديدة، أعرف بأنك ستكون سعيداً هناك وستراقبني عن كثب وسيخبرك القمر بكل أسراري وستعرف ماذا كنت أخبئ عنك.

آه يا والدي أنا منهكة لحد الموت، أريد أن أنام، أريد أن أغمض جفني، أريد أن ترتاح عيناي المتعبة من البكاء، سيحميك القدير بعد موتك فهو لم يتخلّ عنك في حياتك ولن يتخلى عنك بعد موتك.

والدي أحبك.

ماريا كرستوفر

شباط 1931

openkandl.com

ما بعد النكبة

توالت الأيام بعد وفاة والدي ولم تختلف بشيء سوى أنه يوم جديد يبدأ ويوم آخر ينتهي، تشابهت الأيام عندي ولكن اختلفت أحزاني، تارة تكون قوية وتارة تكون ضعيفة.

كانت تمر الذكريات عليَّ متفاوتة، مرة مسرعة بسرعة البرق ومرة بطيئة جداً، كنت أعيش الألم في كل يوم جديد، لم أكن أخبر ليوناردو بهذا الشيء وكنت أكتمه في صدري ككتماني للكلمات الصامتة.

أحسستُ بإعياء شديد ودوار وكنت لا أنهض من على سريري، كانت تنظر إلي إملينا بخوف، أخبرتها بأنه لا خوف علي وبأنني سأكون بكل خير وأنا على أتم ما يرام، عاد ليوناردو من المزرعة ورآني أتأوه من الألم، قرر أن نذهب لزيارة الطبيب في المدينة، وأنا لا أريد زيارته، لا أريد المدينة، آخر مرة ذهبت إلى المدينة قبل وفاة والدي، لا أريد أن أتذكر أي شيء، فقط أريد أن أنسى.

لم يسمع لي ليوناردو وكأنه أصابه الصمم، كنت أقرأ الخوف في عينه، ولكنني حتى الآن لم أتعلم لغة العيون، أيها القدير أخبرني كيف جعلتني أتمكن من قراءة عينيه في هذه المرة بالطريقة الصحيحة، نعم كان خائفاً عليَّ كثيراً فهو لا يريد أن يفقدني كما فقد والدي والدتي.

ذهبنا لزيارة الطبيب وبعد سماعه للأعراض وبعد الفحوصات، بشرنا بأجمل بشارة، أخبر ليوناردو بأنني حبلى وسيكون هو أب وسأكون أنا أماً، هذا الخبر كان كافياً أن ينسيني جزءاً من ذكريات والدي، لا، لن أنسى والدي ولكن هذا الجنين سيسليني كثيراً في غيابه، والدي كان يداعبني وأما أنا سأداعب صغيري أو صغيرتي.

فرح ليوناردو كثيراً بهذا الخبر، وشكر الطبيب على حسن معاملته لنا.

تغير الصمت وبات ليوناردو يتكلم ويخبرني عن أمنياته وكان يقول الكثير وأنا تائهة في مكان آخر، تائهة مع إملينا، كيف ستستقبل هذا الخبر؟ هل ستفرح أم ستحزن؟ هل ستغار من مولودي؟ لا أظن ذلك فإملينا

تحبني وستحب مولودي أيضاً، إنها حنونة مثلي.

كان ليوناردو يمشي فرحًا ويتراقص أمام الجميع وتراقص قلبه وقلبي معه ولأول مرة بعد وفاة والدي بدأتُ أضحك من أعماقي، إلى متى سأكون حزينة؟ إلى متى سأتألم لوالدي؟ هو بخير يجاور القمر مع والدتي ويتسامرون الحديث معا وهم الآن فرحين لفرحي، ابتعدت عن كل تلك الأفكار وعشتُ اللحظة مع ليوناردو.

كانت فرحته لا توصف، كانت مشاعره مختلفة تماماً عن كل المشاعر التي رأيتها سابقاً، كانت الابتسامة تعتليه لحد الجنون، كانت كل ملامحه توحي بالسعادة وكان كل شيء يومها أمامي يبعث فيَّ الحياة ويشع الأمل من جديد وكأنني كنت في حقبة الظلام وانتقلت إلى حقبة النور، والدي اعذرني اليوم فأنا أريد أن أكون سعيدة، أعلم بأنك لن ترفض سعادتي، هذه كانت أمنيتك سابقاً، وهي أن تراني سعيدة وأبتعد عن كل شيء يجعلني حزينة ويعكر صفو جوي.

ابتاع لي الورد وأنا صاحبة الورود الزاهية والرائحة

العبقة، لم أكن أحتاج للورود فحديقتي تكتظ بالورود الجميلة، أرادها أن تكون مختلفة عن كل مرة، أرادني أن أمسك بورود ليست من حديقتي وليست من حرثي، أرادني أن أعيش إحساس السعادة بطريقة أخرى تختلف عن الطرق المعتادة.

نظرت إليه وإلى ملامحه، كل شيء فيه كان يتراقص فرحاً، كان ينظر إلى الجميع بنظرة مختلفة وحانية، كان يمسك بيدي وكأنني أميرته وأنا كذلك، مررنا على أحد الأماكن وسمعنا لحننا، سمعنا اللحن الذي نعشقه وبانت فيه الكثير من الأسرار والاعترافات عن المشاعر والأحاسيس.

أغلقت عيني قبل أن أراه يغلق عينيه، وقف أمامي وأمسك بخصري وحتى وصلنا إلى المقطع الخاص بنا حتى نطقتها مرة أخرى، نطقت بالكلمة التي أخبرني أن أنطقها سابقاً مصحوبة باسمه، في ذلك اليوم لم يتسنَّ لك رؤية ملامحي ومعرفة تفاصيل وجهي فالظلام كان سيد الموقف وأما اليوم فأنت رأيت كل تفصيل في وجهي من أعلاه إلى أسفله ومن يمينه إلى شماله ومن كل

الزوايا، احفظ تلك الملامح جيداً، احفظ التفاصيل يا زوجي العزيز.

رحلنا بعد المقطع الخاص بنا، رحلنا وكانت قد تجددت أحاسيسنا وكأننا جددنا حبنا الذي طوى عليه الزمان وأكل عليه الدهر من المواقف التي تعرضت لها ومن الآلام التي أحسست بها، رحلنا ونشرنا الحب في كل الأماكن التي مررنا بها وكأننا نصطحب الحب من خلفنا حتى تنشر نفسها بين الجميع.

وصلنا إلى الحديقة وخبأت الورود عن ورودي حتى لا تغضب مني ولا يتكدر مزاجها، وضعت تلك الورود في غرفتي وانتصفت المكان.

استلقيت على السرير وبجانبي إملينا تنظر إليّ، وكان القمر قد استيقظ من نومه، فتحت النافذة ووجهت وجهي للقمر وكنت أمسك بإملينا، إملينا ستستمعين اليوم لحديثي مع القمر فهناك شيء واحد أريد أن أخبركم به.

أيها القمر، هل أنت مستعد أن تسمعني؟ وقد اكتمل نورك، أعلم بأنك تحتضن والدي عندك ويقف معك

وبجانبك ووالدتي كذلك، إمليا هيا يا عزيزتي أصغِ إلي.

يا قمري العزيز ويا إمليا العزيزة، كانت أيامي السابقة مؤلمة وكنت أشعر بألم كبير يسري في جسدي وكان جرحاً غائراً، كان جسدي ضعيفاً لا يقوى على الحياة وكأن رائحة الموت اقتربت مني ولكن لم أعلم بأن هناك حياة جديدة تبث في داخلي ولم أعلم بأن هناك شيئاً جميلاً يقترب من أعماقي، لم أكن أعلم بأي شيء وكنت جاهلة كل شيء، وكل الذي تمنيته هو أن أكون نجمة بالقرب من والديَّ ولا أريد شيئا آخر ولا أريد أن أتمنى الأمنيات التي ربما سئمتُ منها في الوقت الحالي.

تم نفخ روح وحياة جديدة بداخلي بأمر القدير، أمرَ أن تكون هناك نطفة بداخلي وستتحول إلى جنين، إما سيكون صبياً يشبهك أيها القمر، لا أريد منه أن يشبه والده، أريده أن يكون شبيهاً بك أيها القمر الجميل ولكنني لا أريد أن تملأ الحفر وجهه لأنه لن يكون شقياً مثلك، وربما فتاة تشبه إمليا، لا أريدها أن تشبهني بل أريدها أن تشبه دميتي العزيزة إمليا، نعم يا إمليا

فملامحكِ الجميلة تجعلني أتمنى أن تشبهكِ فتاتي فأنا أحبكِ كثيراً.

أيها القمر وإملينا، أخبرني الطبيب بأنني سأرزق بمولود ولكن لا أعلم ما هو جنسه وكل الذي أعرفه بأن هناك شيئاً جميلاً سيضيف حياة على حياتي ويكون معي ولي ومني.

هيا أيها القمر قم بدورك ولا تتكاسل فأنا لا أحب الكسالى، أخبر والديَّ بذلك وأخبر أصدقائك النجوم أيضا وأخبر الجميع، أخبرهم بأنني سعيدة لروح جديدة ستدخل إلى حياتين أيها القدير شكراً لك من كل أعماقي، علمت بحزني ولم تتخلّ عني وسترزقني بأجمل شيء في الحياة، سأعيش إحساس الأمومة وسيعيش ليوناردو إحساس الأبوة، كم هو جميل هذا الشعور وكم هي جميلة هذه المشاعر.

سأخلد إلى النوم الآن، إلى اللقاء صديقي القمر ولا تنسَ أن تخبر صديقتي البحيرة بذلك، آه، لقد نسيتُ أن أخبر حديقة ورودي بذلك، هل لك أن تخبرهم أيها القمر.

هيا أيها القمر، اجمع الأمنيات وحقّق الأمنيات الأخرى فأنت في أوج عطائك، تعالي يا إملينا ونامي بجانبي ولكن حذاري أن تتقلبي وتستيقظي في وقت متأخر فأنا منهكة وأريد أن أنام كثيراً.

ماريا كرستوفر

كانون الأول 1931

obeikandl.com

ألم المخاض

مرت الأيام وتوالت الشهور، كنت أشعر بتعب شديد وإعياء ولم أكن اطيق نفسي وليوناردو كذلك، كنت أطلب منه أن يبتعد عني، لم أكرهه ولكن هذا هو إحساس المرأة الحبلى.

انقضت تلك الأيام بسرعة، وفي الشهر الأخير كنت أنتظر ولادتي على أحر من الجمر ولكنني كنت أخاف من ألم المخاض، انتفخ بطني وكانت تخاف إملينا كثيراً ولم تكن تقترب مني.

ذات صباح وعند استيقاظ الشمس من نومه العميق أحسستُ بألم كبير في بطني، وكان ألماً لا أستطيع أن أصفه، ألم أكبر من ألمي لفراق والدي، أكبر من ألم الشوكة التي أصابتني وجرحتني، أكبر من ألم غرق ورودي، ألم مختلف وأكبر من جميع الآلام وكأن جميع الآلام تجمعت في مكان واحد وعاشت بداخلي في ذلك اليوم.

شعرَ ليوناردو بأن موعد ولادتي قد اقترب وروح

جديدة ستضاف لحياتنا وسيكون هناك من يشاركنا يومنا، أتى بالقابلة والنساء، كنت أراه مرتبكاً مرتعباً، كنت أرى الارتباك في صمته، أيها القدير حتى الآن لم أتعلم لغة الصمت كيف فهمت صمته، آه، لا أعلم كيف فهمت هذا الصمت.

كان هناك بريق في عينيه وأحسستُ ببريق الاشتياق لرؤية المولود، أصبتُ في قراءة العيون والصمت معا، شكراً أيها القدير على هذه الموهبة، خرج من الغرفة وأحضر الماء الساخن وتناولتها القابلة وأما أنا فبدأت بالصراخ الذي دوى المكان وانتشر صوتي في المنزل أجمع وكأن صوتي تجاوز الأبواب وكسر جميع الحواجز، خذوا إلينا بعيداً فإنني لا أريدها أن تراني وأنا على هذه الحالة ولا أريدها أن ترتعب من هذا الصراخ.

بدأت بالنفخ كما طلبت مني القابلة ذلك، شهيق وزفير وكأنني أعزف ذلك اللحن وليس ذلك فقط، بل أعزف اللحن بالمقطع الذي نعشقه، تأمرني بالدفع وأنا أدفع بكل ما أوتيت من قوة وكأنني لأول مرة أدفع في حياتي، ارتفع صوتي مرة أخرى وهناك امرأة تجلس عند

رأسي وهي تمسح بالمنديل عرقي وهي تناظرني بعين الأم التي تخاف على ابنتها من ألم المخاض، كانت تبتسم لي لأن هناك شيئاً جميلاً سيشع بالحياة بعد دقائق معدودة.

صرخت القابلة وناولتها المرأة الأخرى المنديل، خرج رأس الجنين وأنا كلي ألم وأتمنى أن ينتهي هذا الألم بسرعة فأنا لا أحتمله، اجتمعت كل آلام الكون اليوم فيَّ حتى يخرج هذا الجنين.

كان صبياً جميلاً ونسيت كل ذلك الألم ونسيت كل ذلك التعب وابتسمت وناولتني إياه القابلة وأنا أنظر إليه بحنان، أيها القدير إنه يشبه القمر، لقد سمعني القمر في ذلك اليوم وحقق لي هذه الأمنية ولكنه لم يسمع أمنيتي عندما طلبت منه أن يشفي والدي، إنه صبي ويشبه القمر.

بشرت النساء ليوناردو بالصبي، دخل عليَّ الغرفة وأنا مستلقية على السرير وابتسم لي وأما ابننا فقد كان يبكي وكان صوته جميلاً، أصبحت أعشق صوت البكاء بعدما كرهته في أحد الأيام.

حمله ليوناردو بين يديه وهو يتأمله ويداعبه وينظر

إليَّ فرحاً مسروراً، قرر إطلاق اسم ليو عليه، حتى يشبهه في اسمه، أراد أن يأخذ شيئاً منه.

وضعه في سريره وانطلق عائداً لعمله بعدما اطمأن على صحتي، كم هو حنون ليوناردو، هو يحاول أن ينسيني ألم والدي ويحاول أن يحل محله وليكن ذلك فهو يستحق هذه المكانة دونما استثناء.

مرت الأيام وبعد عدة شهور، مرض ليو، وأخذناه إلى الطبيب والخوف دب في قلوبنا، وقتها انتشر مرض غريب في أرجاء المدينة وانتشر هذا المرض عن طريق الهواء في كل مكان ولم يترك صبياً إلا وفتك به، أيها القدير احمِ ليو من كل شر، يا إلهي لا تحرمني من صغيري.

وصلنا عند الطبيب وكان المكان مكتظاً بالمراجعين، كنت أبكي، لقد كرهت البكاء مرة أخرى وأنا أرى فلذة كبدي أمامي مريضاً ولا أستطيع أن أداويه بشيء، كنت أحمله بين يدي وأراه يبكي ولا أستطيع أن أسعفه وفجأة صمت، استغربت من صمته، نظرت إليه مرة أخرى، أغلق عينيه، ليو هذا ليس وقت النوم، ليو هيا

استيقظ سندخل عند الطبيب الآن، ليو، ليو، ليو، ليو.

دوى صراخي المكان بأكمله ابتداءً من مكان الدخول إلى مكان الخروج، انتشر صوتي في الهواء وكان يحمل صداه في المكان وكأنه يتنزه صرخت صرخة مدوية أفزعت الجميع، لم أستوعب وقتها ما الذي جرى لي، سوى أنني دخلت في حالة هستيرية ولم أستطع السيطرة عليها، إنها آلام مكررة.

حمل ليوناردو بين يديه ليو وأدخلوه لغرفة الطوارئ، حاولوا أن يسعفوه ولكن لم يستطيعوا، وأما أنا فأغشي عليَّ من هول الصدمة.

فتحت عيني وأنا على السرير أنطق باسم ليو وأناديه وأرى دموع ليوناردو، ظننت بأنني أحلم ولم أكن أعلم بأنها الحقيقة، سألت ليوناردو تكرارًا عن ليو ولم يخبرني وأعلن الصمت، لا أريد أن أفهم لغة الصمت أيها القدير، أريد أن أعرف ما الذي جرى، أين ليو؟ ليوناردو أجبني، هل ابني بخير؟ هل هو على ما يرام؟ هل عالجه الأطباء، أجبني يا ليوناردو، أخبرني.

إلهي قل له أن ينطق، امسح دموعك، هيا بنا نذهب

إلى المنزل إن ليو جائع ويريد أن يشرب الحليب، ليوناردو، لا تتركني دون أن تجيبني، أنت في مقام والدي ولكن والدي كان يجيب على كل تساؤلاتي.

نعم لقد توفي ليو وتركني مع ليوناردو وحيدة، تبددت أحلامنا التي رسمناها معا لذلك الوقت الطويل ولتلك الحياة الجميلة، نكبة أخرى وحزن آخر وألم متجدد، رائحة الموت، كم أكره هذه الرائحة! لقد التصقت بي لعنة رائحة الموت ولن تتركني وحيدة حتى تفتك بي.

هل سيحتضن والداي ليو وسيرعيانه ويهتمان به ويخافان عليه؟ هل سيكون ذلك الولد المطيع في السماء؟ إنني أخاف عليه من القمر، أخاف أن يجرحه أو يقسو عليه، أيها القدير ارفق بحالي فأنا لم أعد أقوى، أصبحت ضعيفة.

رحلت والدتي عندما كنت طفلة ولم أشعر بحنانها، ورحل والدي في أول أيام حياتي الجميلة وبعد زفافي بأقل من سنة، وبعدها رحل ليو بعد رحيل والدي، كومة من الآلام تجمعت وأصبحت أنا وتكونت أنا

وكنت أنا، نعم أنا الألم بحد ذاته، نعم أنا هي تلك المرأة التي تبنت الآلام وأصبحت مسكنها الوحيد.

كلها آلام ارتسمت أمامي وفي طريقي، أيها القدير ارحمني فأنا ضعيفة ولا أستطيع أن أفارق أحداً، احفظ لي ليوناردو.

ماريا كرستوفر

أيلول 1932

obeikandl.com

عزيزي ليوناردو

بعد رحيل ابني ليو، توقفت عن كتابة مذكراتي وأشغلت نفسي بحديقة الورود وبدأت أعمل بجد دون أن أكترث لأي شيء آخر سوى ليوناردو، قررت وليوناردو بأن لا ننجب.

سأهتم بليوناردو ولا أريد أن أهتم بأحد آخر فهو أول وآخر عشق لي ولن أتخلى عنه أبد الدهر.

تقدم بنا العمر وأنا ألملم نفسي بنفسي، أهملت إملينا وأصبحت لا أكترث لها كثيراً، أصابني الإهمال من كل النواحي ولكنني لم أهمل حبي الأبدي وكنت أهتم به وهو كذلك.

كان ليوناردو يعمل بجد واجتهاد وفي بعض الأيام لم يكن يعمل لأن التعب أرهقه، طلبت منه كثيراً أن لا يجهد نفسه ولكنه لم يستجب لي أبداً وكان يخبرني بأنه بخير وعلى أتم ما يرام، كنت أعلم بأنه متعب ولكن كعادته يحب الصمت ولا يخبرني بكل شيء حتى لا أخاف عليه.

طلبت منه في أحد الليالي المقمرة أن نذهب إلى بحيرتنا ونجلس هناك وقبل أن نخرج إلى تلك البحيرة أهداني مذياعاً جميلاً، كلاسيكي الشكل، أحببت شكله، وشكرته كثيراً.

أعددت الشيء اليسير من الطعام وحملته في سلة وأخبرته أيضاً بأننا سننام تحت أغصان الشجر، فكنت أريد ذلك سابقاً ولكنني كنت أخاف من والدي ولم أكن أريد أن أسبب له القلق.

حملنا أغراضنا البسيطة بعد نوم الشمس واستيقاظ القمر وذهبنا إلى تلك البحيرة وكان القمر في ذلك اليوم متكتملاً كأول مرة التقينا فيها، هدوء البحيرة، نور القمر، وأغصان الشجر، لم يتغير شيء في البحيرة وكانت الأغصان كذلك كما هي، كل شيء كان كما تركناه، نحن الذين تغيرنا، نحن الذين تقدمنا في العمر، وكان كل شيء حولنا كلوحة مرسومة.

وضعت حاجياتنا على العشب وفرشت السجاد وجلست بقربه وكأنني طفلة صغيرة أحتمي من البرد وكان ينظر إليّ وهو يبتسم وكأنه يقول لي أول مرة

التقينا فيها واعترفتِ بحبكِ لي ونطقتِ بالكلمة التي طلبتها منكِ وأنتِ مغمضة العينين، هل تذكرين ذلك يا ماريا؟ وهل أستطيع نسيان ذلك يا ليوناردو فقد كانت وما زالت أجمل أيام حياتي التي عشتها وقضيتها.

أغمض عينيه واستشعر الشعور في أعماقه وأنا أحاول التدقيق بملامحه ونطقها وقال لي تلك الكلمة مصحوبا باسمي "أحبكِ يا ماريا"، إلهي كم هو جميل هذا الشعور، لا أريد أن تنتهي هذه اللحظة وأريد أن أعيشها للأبد، أمسك بيدي الضعيفة فأنا عدت لا أقوى على شيء، تقدم بي العمر كثيراً وأصبحت مسنة، أنا لست تلك الفتاة المفعمة بالحياة، لست تلك الفتاة التي كانت تأتي إلى البحيرة جرياً، لقد تغيرت أشياء كثيرة أيتها البحيرة، اهتم بنفسك أيها القمر واهتم بكل الذين أخذتهم مني واهتم بي عندما أكون أحد أصدقائك وأقف بجانب تلك النجوم معك.

استلقى ليوناردو واستلقيت أنا بجانبه وكان ينظر إليَّ مبتسماً قبل أن يغمض عينيه، كنت أحدق في وجهه وقد ملأته التجاعيد وآثار السنين الغابرة وتغيرت ملامحه

وأتعبه المرض وأنهكه التعب، لم أكتفِ بالنظر إليه، بل كنتُ أداعب شعره كطفل صغير يريد أن ينام.

كانت تلك الليلة من أجمل الليالي فسطرتها في صفحة اللحظات التي لا أريدها أن تنتهي، بحيرتنا الجميلة تجمعنا تحت نور القمر الساطع وتحت أغصان الشجر، كلها تجمعت في السابق واليوم تجتمع مرة أخرى ولكن ما تغير هو أعمارنا.

أغمضت عيني وأنا أنام في حضن ليوناردو الدافئ وأحسستُ بدفئه يسري إلى أعماقي كما سرت مشاعره وأحاسيسه الصادقة سابقاً، استسلمنا للنوم وليتنا لم نستسلم لذلك النوم فقد غدر بأحد منا، نعم غدر بأحد منا والقمر يشهد على هذا الشيء ولكنه لم يفعل شيئاً، هل لأنني لم أرسل له الأمنيات؟ هل لأنني لم أخبره بالذي يجول بداخلي؟ هل اتفق النوم مع القمر؟ أم القمر اتفق مع النوم؟

أيها القدير لِمَ كل هذا؟

رحل القمر وذهب ليخلد لنومه بعدما اتفق أحد منهم على أحد منا، اتفق النوم مع القمر، نعم لقد اتفق

النوم مع القمر وكأن القمر كان مجبراً على ذلك.

استيقظت الشمس من نومها، ولا أعلم هل كان ذلك نوماً أم سباتاً؟ لا يعنيني هذا الشيء، استيقظت من نومي، وكنت أحاول إيقاظ ليوناردو ولكنه لم يستجب لي، أيها القدير هل ما أظنه صحيحاً؟ أيها القدير أخبرني هل رحل ليوناردو وذهب للقمر وسيقف مع النجوم وسيتركني لوحدي؟

لا أصدق بأنه رحل، لا، لن أحكم بهذه السرعة، حاولت مرارًا وتكرارًا ولكنه لم يستيقظ، كانت أطرافه باردة فتذكرت أطراف والدي وأطراف ابني، كلها كانت باردة، نعم رحل ليوناردو وكانت لعنة رائحة الموت ترافقني وتتبعني وكأنها تريد أن تفتك بي ولن تتركني حتى أكون وحيدة.

لم أصدق نفسي و لم أصدق تلك الحقيقة المرّة وكيف رحل ليوناردو وأنا لم أشعر به، كيف رحل و تركني وحيدة وهو أخبرني بأنه لن يتركني لوحدي.

آه، سأعيد مراسم الدفن وسأعيش الحزن مرة أخرى ومرات ومرات، لم أصرخ بصوت عالٍ ولم أندب حظي

حتى لا تتجمع كومة الآلام مرة أخرى فهي اجتمعت فيَّ بما فيه الكفاية.

أحضروا التابوت ووضعوا فيه ليوناردو حبي وعشقي الأبدي، ألقيت عليه نظرة أخيرة وارتديت الثوب الأسود الذي ارتديته في مراسم دفن والدي.

ذهبت إلى المقبرة وأنا كلي ألم ولكن هذه المرة لم أصطحب إملينا معي فهي لا تقوى هذا الفراق، ألقى أحد أصحاب ليوناردو الكلمات الجميلة في حقه والمشاعر التي يكنّها له وأما أنا فاعتذرت عن الكلام وفضّلت الصمت الذي أصبح صديقي المقرّب بعدما خانني القمر في تلك الليلة مع النوم وغدروا بي، يريد القمر أن يأخذ الجميع مني ويريدني أن أعيش وحيدة.

رحل ليوناردو بعدما التقينا في أول مكان جمعنا وتكررت التفاصيل القديمة وأخبرني بإحساسه قبل أن يخلد إلى نومه الأبدي.

بعد رحيل ليوناردو اعتزلت الجميع وتركت ورودي ولم أهتم بها، انكسرت وانكسر كل ما بي وانكسر أهم شيء فيَّ، نعم لقد انكسر قلبي بهذا الفراق، قلت سابقاً

بأن ليس هناك أحد سيحل محل الوالد والآن أقول بأن ليس هناك من سيحل محل الزوج المخلص المحب الوفي.

افرح أيها القمر لقد سرقت مني كل أحبابي ولكنك لا تستطيع أن تسرق مني إملينا، هي الوحيدة التي ستكون معي للأبد، انتظرني أيها القمر سآتيك وسأكون بالقرب من والداي وزوجي وابني ولكن لا أعلم متى، إنني أنتظر القدير.

وأما الآن سأكتفي بالمذياع الذي ابتاعه لي ليوناردو قبل أن يتوفى وسأعكف عليه ولن أتركه فهو آخر ذكرى منه لي.

ماريا كرستوفر

كانون الثاني 1973

opeikandl.com

الفهرس

آخر مذكراتي 7
دميتي 14
وردتي 21
قلبي 27
حبي 33
البحيرة 39
زيارة ليوناردو 45
البحيرة والقمر 52
الحفلة الراقصة 58
زفافي 64
ماريا وليوناردو 71
نكبة حياتي 77
التابوت 83
مراسم الدفن 89
ما بعد النكبة 96
ألم المخاض 104
عزيزي ليوناردو 111
من إصداراتنا 120

obeikandl.com

obeikandl.com

من إصداراتنا..

obeikandl.com

دار هماليل للطباعة والنشر
Hamaleel Printing & Publishing House

هماليل..
مؤسسة اعلامية تُعنى بالأدب والفكر والثقافة
والموروث الشعبي

تلفون: 00971-2-4460777
فاكس: 00971-2-4459111
صندوق البريد: 130777
البريد الالكتروني: hamaleel@hamaleel.ae
الموقع الالكتروني: www.hamaleel.ae

obeikandl.com

obeikandl.com